ايريس مردوخ

سارتر

المفكر العقلي الرومانسي

مكتبة بغداد
twitter@baghdad_library

ترجمة
شاكر النابلسي

twitter @baghdad_library

إيريس مورد خ

سارتر.. المفكر العقلي الرومانسي

ترجمة
شاكر النابلسي

الناشر
دار المفكر

twitter @baghdad_library

twitter @baghdad_library

مقدمة

أن تفهم شيئاً عن سارتر ، معناه أن تفهم شيئاً هاماً عن العصر الحاضر . فسارتر معاصر لنا ، ويعايشنا ، بعمق من حيث هو فيلسوف، ومن حيث هو سياسى ، وكذلك من حيث هو روائى ، إن سارتر يملك أسلوب العصر . إن مجال نشاطه ، يعرض لنا ، التطور لهذا الأسلوب، كنمو طبيعى ، للتقليد الفكرى ، الأوروبى، فى علم الجمال، والميتافيزيقيا، والسياسة . إن الصلات المختفية فى مكان آخر تقف ، بوضوح مخططه بشكل معقول أعمال سارتر ، الخصبة .

إن سارتر يعتبر المفكر ، الذى وقف بصلابة فى طريق ، ما بعد الحركات الهيجيلية الفكرية ، الماركسيه ، الوجودية ، والفينومنولوجية.

لقد شعر سارتر ، بصراع كل منها ، وأدخل على كل منها : تعديلاته الخاصة ، وسارتر يستعمل أدوات الماركسيين ، التحليلية ، ويشارك فى انفعالهم الضرورى تجاه الحدث ، ولكن مع رفض النظرة ، اللاهوتية ، للديالكتك . إن سارتر ، يفضل بإخلاص المجتمع الديمقراطى ،

twitter @baghdad_library

المتحرر ، ويأخذ من كيركيجارد ، صورة الإنسان ، كوجود وحيد ، معذب ، فى عالم غامض ، ولكنه يرفض إله كيركيجارد . ويستعمل سارتر وسائل ، ومصطلحات هوسرل ، ولكنه يفتقر إلى ديموتزم هوسرل ، وإلى آمال هوسرل ، الأفلاطونية . ومحاولات سارتر فى الفلسفة لتحديد «الحقيقة الإنسانية» تأخذ الشكل الواسع ، والأوصاف الذكية . هذه الأوصاف التى تتضمن ، وتعتمد على صورة « الوعى » ، حيث أن القاموس الهوسرلى ، والهيجلى ، تضمن هذه الصورة أيضاً ، مع النظرات السكيولوجية الفرويدية .

لقد حمل أعداء الديكارتية ، على ثنائية العقل ــ الجسد ، وكذلك ، فإن تجسيد الأساليب العقلية تماشى الاصرار الديكارتى ، على أن سلطة الوعى ، فى الشكل المحدد ، هى من أهمية هذا الوعى .

إن أسلوب الفكر ، الذى نجده ، بشكل واسع ، ملخصاً فى أعمال سارتر ، والذى نستطيع أن نميزه بوضوح فى أعمال مفكرين ، مختلفين للعصر الحاضر ، يمكن أن يعطينا العنوان المناسب لكلمة « فينومينولوجيا » .

يقول موريس بوانتى Ponty فى حديث ، عن الفينومينولوجيا ، « أن الفينومينولوجيا قد مورست ، وميزت ، كطريق ، وأسلوب ، إنهـــا توجد كحركة قبل أن تكون وعيا ، ذاتيا ، فلسفيا كاملا » لقد كانت الفينومنولوجيا فى الطريق ، إلى زمن طويل ، ولقد كشفها تلاميذها فى كل مكان ، وبصورة خاصة هيجل ، وكيركجارد ، وكذلك

twitter @baghdad_library

ماركس ،ونيتشة ، وفرويد (فينومنولوجية الإدراك ص ٢)وأضاف بوانتى ، إنه فى قراءة هوسرل، وهيدجر « كثير من معاصرينا يملكون شعوراً ، فى اللقاء ، مع الفلسفة الجديدة ، أقل من الشعور فى معرفة ما قد كانوا ينتظروه » وهذا هو نفس الإدراك القائم ، بوضوح ، بالنسبة لكثير من الناس ، عند قراءة سارتر . لقد عملت الفلسفة فى انكلترا باستقلال منهجها التجريبى ، الخاص ، وبالرغم من الاختلاف الخطير فى التكنيك ، فإن الفلسفة فى انكلترا ، قد سلكت طريقاً ، موازيا . من الممكن أن تكون هذه الفلسفة مناقشة ، ذلك أن فلاسفة القارة المحدثين قد اكتشفوها ، بضجة كبيرة . ماذا عرف التجريبيون الانجليز ، منذ هيوم ، الذى نادى به هوسرل نفسه كسلف . وعلى أية حال ، فإنه من الممكن ، أن تكون ثقافة أعداء أصحاب النزعة العقلية والديكارتية والوجودية قد تطورت فى انكلترا على شكل تحليل « فلسفى للغة . وكذلك ، فإن الوعى الذاتى ، اللغوى ، يخص تقليدنا أيضاً فى نفس الوقت الذى وجد فيه عند هوبز ، ولوك .

هذا «التحليل» الذى هو اللا طموح فى الموضوع ، الفظ ، الجاف ، فى التكنيك يبدو قاسيا عندما نقارنه بكثير من النشاطات الموفقة لفلاسفة القارة ؛ إن هذا التحليل على أية حال ، يشارك فى الحركة القارية ، وفى اتجاهها العام وكذلك فى نظراتها الخاصة . إن بعضا من هذه الأشياء التى قيلت فى كتاب « مفهوم العقل » قد قيلت أيضا فى « الوجود والعدم ».

وبالنسبة لسارتر فإنه محلل ، شخصى ،هاوى كما أنه أستاذ للأخلاق وفيلسوف . إن القوة القيادية فى جميع كتابات سارتر هى رغبته الملحة

twitter @baghdad_library

فى تغيير حياة قارئه . إن هذا من المحتمل أن يكون قائما ، ذلك أن وعيه الفلسفى يقف وقفة مقيدة عند المعرفة النقدية للغة . وعندما يكون المرء قلقا لإقناع ، أو إيصال شخص ما كما يفعل سارتر نفسه ، فإن اللغة الداخلية تراه على أنه بناء خارجى للعالم ، إن اللغة قلق بلاغى للاقتناع وليست ببساطة صورته النفسية التى تصنع التكنيك والتى هى مسؤولة عن ما فتح للنقد فى نظريات سارتر ، فى حين أن التكنيك برىء ، وما يحاول سارتر أن يفعله مع التكنيك رائع ، وهام ، ومبرر ذاتيا . فسواء دعونا هذا « فلسفة » أو لم ندعه ، فإن هذا يأتى ، بالدرجة الثانية . إنه ليس من المدهش أن يتخذ مفكراً كسارتر الرواية . كواحد من أساليبه للتعبير فالرواية بعد ذلك كله ، وفى حد ذاتها ، نتاج نموذجى ، لهذه الفترة التى ما بعد الهيجيلية . ولعل كلامى هذا يعنى التمييز بين الرواية الخالصة (أعمال جين أوستن ، جورج اليوت ، تولستوى ، ديستويفسكى ، كونراد ، بروست) وبين رواية الأفكار (كانديد) ، والرواية السهلة (مول فلاندرز) وبين الرواية الميتافيزيقية الحديثة (القلعة) .

إن الروائى الخالص ، برأى سارتر نوع من الفينومينولوجى .

إن الروائى يعى ما نفعل لا ماذا يجب أن نفعل ، أو ما سوف نفعل إن الروائى يملك موهبة طبيعية ، تلك التى تبعد حريته عن المذهب العقلى ، ذلك الذى يسعى المفكر الأكاديمى لتحقيقه وحتى إذا أدى إلى تحقيقه بشكل غير ثابت .

إن الروائى دائماً هو ما نادى به الفلاسفة المتأخرون ، من أنه يجب أن يكون واصفا أكثر منه شارحا . وفى النهاية تكون النتيجة

twitter @baghdad_library

أن الكاتب يسبق اكتشافات الفلاسفة (وهذه الحقيقة بالنسبة لتولستوى بصورة خاصة) .

إن الرواية صورة للحياة الإنسانية ، كما أنها تعليق على هذه الحياة الإنسانية ، وكذلك فإن الرواية نتاج نموذجى ، بالنسبة للعصر التى كانت به كتابات نيتشة ، وكتابات فرويد السيكولوجية ، وكذلك فلسفة سارتر . والرواية نموذج للكتابة أكثر أهمية ، ومعنى، وأكثر نفوذاً من كل الذى ذكرناه . وسارتر يعلم هذا جيداً .. إذ أن اهتمامه بالرواية ، غير آت من كونه مفكراً فينومينولوجيا فى وسطه الطبيعى ، ولكنه آت من كون الرواية سلاحا دعائيا حاداً . لقد قدم سارتر للرواية مع موهبته الأدبية الملحوظة ، نموذجية فلسفته فى الوعى الذاتى. وعلى أية حال ، فسواء ساعدت هذه المعرفة ، أم أعاقت كون سارتر فنانا ، فإن هذا يجب أن يأخذ بعين الاعتبار .

twitter @baghdad_library

اكتشاف الأشياء

تعتبر رواية « الغثيان »[1] الرواية التى تضمنت كل فلسفة سارتر ما عدا فلسفته السياسية ، كما « الغثيان » تعتبر من أكثر الروايات كثافة فلسفية . ذلك أنها عالجت مشكلة الحرية ومشكلة « سوء الطوية » ، كما عالجت الشخصية البرجوازية ، وفينومينولوجية الإدراك ، وطبيعة الفكر ، بالإضافة إلى معالجتها لمشكلة الذاكرة ومشكلة الفن . إن هذه النماذج قد برزت نتيجة لاكتشاف ما ، واهتمام ميتافيزيقى من قبل بطل الرواية « روكنتان » . ولقد وضع هذا الاكتشاف فى قالب فلسفى كما أن هذا الاكتشاف قد أوضح بأن العالم صدفة فى حد ذاته . وعلى ذلك فنحن قد ارتبطنا به ارتباطاً غير طبيعى .

لقد وقف روكنتان على شاطىء البحر والتقط واحدة من الحصى التى حوله لكى يلقى بها فى البحر ، وعند ما نظر إلى الحصاة تولاه رعب شديد ، فرمى الحصاة ، وهرب بعيداً ، ومن ثم تتابعت التجارب

---

(١) ترجمت هذه الرواية إلى الانجليزية تحت عنوان « يوميات أنطون روكنتان » .

twitter @baghdad_library

التى من هذا القبيل . إن هناك كثيراً من الموضوعات الغريبة التى اعترضت روكنتان ، ولكن روكنتان لم يستطع أن يقرر ما إذا كانت هذه الموضوعات ثابتة فى حقيقتها أم أنها متغـــيرة . فقد كان راوكنتان يطيل النظر فى زجاجة البيرة ومسامير مقهى باترون Patron كما كان مشحوناً « بقرف لطيف » .

كان روكنتان ينظر إلى وجهه فى المرآة ، وفجأة يرى هذا الوجه وكأنه وجه سمكة . ويتابع روكنتان اكتشافه ، ذلك أنه لا يوجد هناك مغامرات .. لأن المغامرات قصص ، والإنسان لا يعيش قصة . . أن هناك انساناً يتلو هذه القصة فيما بعد فى حين أن إنساناً آخر يرى هذه القصة من زاوية خارجية . إن معنى المغامرة يأتى من مغزاها ذلك أن عواطف المستقبل تعطى اللون للأحداث، وعند ما يكون شخص ما يعيش الحدث فان هذا الشخص لا يستطيع التفكير فى الحدث . فالمرء إما أن يعيش الحدث أو يقص الحدث ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش ويقص الحدث فى آن واحد . وعند ما يعيش شخص ما ، فإنه لا يحدث هناك شيء ما . ذلك أنه ليس هناك بدايات حقيقية . فالمستقبل ليس هناك دائماً . إن الأشياء تحدث ، ولكن ليست بالصورة التى يريدها روكنتان عند ما أحب المغامرات . ذلك أن ما كان يريده روكنتان شى مستحيل . . إن لحظات حياته تتابع الواحدة تلو الأخرى مثل شريط الذكريات ، مع إمكانية وجود لحن مألوف لديه . وروكنتان يفكر أيضاً بعمله إنه يكتب حياة ماركيز دى روليبون Marquis de

twitter @baghdad_library

Rollebon . وهو يفكر . فيما إذا لم يستطع تذكر ماضيه ، فكيف يستطيع تذكر ماضى الآخرين ؟

إن روكنتان يرى كل هذا فى وميض ما ، ذلك أن الماضى غير موجود على الإطلاق . لا شىء وراء المظاهر والتتبعات المعينة . أو أكثر من ذلك ما هو الحاضر . الحاضر القائم . . وحاضر روكنتان بالذات ؟ أن « الأنا » التى تنخرط فى الوجود ما هى إلا مجرد مادة أبدية الامتداد لمشاعر لزجة وشطحات فكرية غامضة .

يزور روكنتان معرضاً للصور وينظر فى الوجوه البرجوازية القانعة ذاتياً . إن هؤلاء الناس أصحاب الوجود القانعة لم يعيشوا وجودهم قط . هذا الوجود التافه غير المبرر . إن هؤلاء عاشوا بين ظهرانيهم وفى أرضهم كما أنهم تربوا على الفضائل . ووجوههم تنطق بالحق éclatant de droit وحياتهم لها معنى حقيقى معطى given أو هكذا يتصورون . وهم فى هذه الصور قد اتسموا بطابع الضرورة مع كل ما استطاع الرسام أن يقدمه لهم . ولروكنتان تجربة حديثة اكتسبها من المعنى الخاص لسوء الطوية أو الإيمان الزائف لهؤلاء الذين يحاولون ستر عرى الوجود ببعض المعانى المزركشة . أنهم الأنذال Salauds ! ان روكنتان يفكر فى هذا كله وكأنه قد عاد إلى غثياته Nausée ثانية .

إن القرف يتجه الآن نحو القمة وشخصية ميتافيزيقية قد حددت معالمها بوضوح أكثر . كان روكنتان يجلس على مقعد فى الترام ، أنا أتمتم : إنه مقعد يشبه التعويذة . ولكن الكلمة تبقى على شفتى : انها ترفض أن

twitter @baghdad_library

تخرج وتمكث فى الأشياء ، أشياء تخلصت من أسمائها . إنهم هؤلاء ، العجيب ، العنيد ، الضخم ، انه يبدو من الجنون أن ندعوهم مقاعد أو أى شىء آخر . » ويتابع روكنتان تأملاته فى الحديقة العامة ، ومع ذلك فهو يقول غالباً ولأول وهلة ، « طائر البحر » ، مع أنه لم يشعر باسمه قط قبل ذلك . ويفكر قبل ذلك فى الاصناف والأنواع . والآن ماهو الشىء الذى سبقه ، هل هو شىء موجود شاذ . إن الوجود قد فقد جوهره الطاهر للقولة المجردة . لقد كان محشوا بالأشياء الكثيرة ، إنه يثبت عينيه فى جذور شجرة الكستناء . وبعد ذلك يأتى الإلهام الأخير الكامل . « لقد فهمت بأنه لا يوجد هناك طريق وسط بين اللاوجود وبين هذا الغثيان الزائد . ما هو موجود يجب أن يوجد بالنسبة لهذه النقطة . إن هذه النقطة هى نقطة التورم والقباحة والتعفن . فى العالم الآخر تحتفظ الدوائر والأنغام بنقائها وتوترها الصادر . ولكن الوجود يتداعى » .

إن روكنتان الذى يهجر كتابه عن روليبون يقرر الرحيل . يجلس فى المقهى ويستمع فى نهاية الوقت إلى تسجيل من الحاكى للمغنية الزنجية التى تغنى أغنية « بعض هذه الأيام » وغالباً ما يثار بنقاوة هذا اللحن وعدم تأثيره وضرورته القصوى . إن الأنغام تتابع الواحدة تلو الآخر بطريقة حتمية ثم تختفى فى العالم الآخر ، والأنغام لا توجد مثل الدائرة . . إنها هى أن النغم يقول : يجب أن تكون محباً لى . . ويجب أن تتألم من الإيقاع . وأنا أيضا أريد أن أكون ذلك . هذا ما يفكر فيه روكنتان أنه يفكر باليهودى الذى كتب الأغنية وبالزنجية التى

twitter @baghdad_library

غنتها ، ومن ثم فهو يملك اتهاماً آخراً ، هذان الشيئان مسالمين ويغسلان أيضا خطيئة الوجود، فلماذا لا يكون هو أيضا مسالما ؟ سوف يخلق شيء ما من المحتمل أن يكون رواية تلك التي سوف تكون جميلة ومتماسكة كالفولاذ وسوف يجعل الناس يخجلون من تعاليهم ، انه يكتبها وستبقى عملا قذراً يوما بعد يوم . ولكن الرواية تبدو الآن والآمال خلفه . سوف يفكر في الآخرين كما يفكر الآن باليهودي والزنجية . وسوف تسلط بعض الأشعة النقية من عمله على ماضيه الخاص — وسوف يكون قادراً على استرجاع هذا الماضي بدون قرف وكذلك سوف يقبل هذا الماضي ويحلول روكنتان هذا تنتهي الرواية .

إن هذا الكتاب الغريب يناقش على عدة مستويات ، كما أنه يعتبر نظرة ميتافيزيقية ، محققة .

إن هذا الكتاب تعبير عن الشك الميتافيزيقي النقي كما أنه يحلل هذا الشك على ضوء المفاهيم المعاصرة ، وهو عبارة عن مقال ابستملوجي لفكر فينومنولوجي إنه مقال في علم الأخلاق يحلل طبيعة «سوء الطوية».

إن نتائجه الأخلاقية تلمس علم الجمال والسياسة وعلى هذا فإن معظم قوته كامنة في شخصياته التي هي أسطورة فلسفية والتي تعرض لنا بطريقة ملحوظة الصورة الكبيرة لتفكير سارتر . والآن دعونا ننظر في هذه المظاهر واحدة واحدة .

إن الشك الميتافيزيقي الذي يعانيه روكنتان شك قديم ومألوف ، إنه شك في مشكلة الغرابة ومشكلة الاستنتاج القائمة . إن الشكاك يرى

twitter @baghdad_library

حقيقة عالم كل يوم كأنها السقوط ، وكأنها مكان قذر ساقط من عالم الكائن إلى عالم الوجود . إن الدائرة غير موجودة ولكن لا أحد يفعل ما سمى « بالأسود » أو « الطاولة » أو « البارد » .

إن علاقة هذه الكلمات ، بوضعها مراوغة واستبداد . وما يوجد هو اللاسمى واللا شيء .

إن الكلمات تهرب من مشروع العلاقات التى بها نتصورها لتكون محكمة التوتر . إنها تهرب من اللغة والعلم ، إنها أكثر من الآخر وأكثر من أوصافنا لها .

إن تجارب روكنتان مليئة بنوع غريب من الشك وقد عاناها روكنتان ، فى الطريق الحديث بشكل مميز . إنه يشعر بالشك فى الاستنتاج (لماذا لا يوجد لسان للحشرة ذات الأربع والأربعين رجلا) وفى التصنيف (طائر البحر) واليأس فى الغرابة والتجريد فى الأسماء (مقعد الترام ، جذر الشجرة) روكنتان يرى الحقيقة كسقوط ، ووجود ، وتأمل . وهو يحن إلى الضرورة المنطقية فى نظام العالم . وروكنتان يرغب بأن يوجد نفسه بالضرورة . وهو يشعر بعبثية هذه الرغبات .

ماهو روكنتان عامة بالنسبة لهيوم وبالنسبة لتجريبى العصر الحاضر . هل ما يتأمله ، من موقف شاك بصورة وصفية يكون بدلا من فرض برهان للحل الميتافيزيقى ؟

إن روكنتان لم يشعر بالتأكيد إن المعرفة العقلية والأخلاقية

twitter @baghdad_library

بصورة خاصة محتملة ، فهو يفحص وسائل التفكير واحدة واحدة ، والأخلاق العامة ويقبل النتائج النهستيلية لدراسته ، إن النتيجة الأبعد أثراً لتأمله الشاك هى الحزن العاطفى الشديد على اللغة التى تهاجمه فيما بعد.

إن روكنتان هو العصر الذى يعيش فيه فى هذا الوضع . ولكن ماذا يميزه كوجودى شاك هل حقيقة أنه نفسه فى الصورة ؟ ومن هو الشيء الذى يحزنه أكثر من غيره وهل ذلك هو وجوده الفردى الخاص المهزوم من قبل اللا شعور الدائم التغير ؟

ما هى معظم اهتمامات روكنتان ؟ هل أمله فى أن يصبح فى طريق مختلف ؟ إن مشاعر روكنتان ليست غريبة و نادرة فى حد ذاتها ، نحن جميعاً تجاربنا ، فمثلا أن معنى الفراغ واللا معنى هو الذى ندعوه بالسأم Ennui فكما يغالى سارتر فى روكنتان فإنه يغالى فى مشاعرنا العادية وتفكك المعنى ، وهذا من أجل إبراز النقطة (اللا مبالاه والإهمال) الغامضة بطبيعة الحال .

يسأل سارتر : ما هو التفكير ؟ ويحاول أن يجيب كما أجاب البرفسور رايل Ryle وأدهشنا بصحة الإجابة . أن التفكير مشاعر هيولية ، إنه كلمات هاجت واضطربت ثم اختفت ، إنه قصة أتلوها أنا مؤخراً ، وعندما ننظر إلى التفكير بشكل كلى فإن المعنى يتلاشى — مثلا عندما نعيد الكلمة مرة ومرة أو نرى وجوهنا فى المرآة .

وإذا اعتبرنا حياتنا لحظة بلحظة فإننا نلاحظ كما لاحظ روكنتان كم من معنى فعلناه يكون قد وضع فى المؤخرة ، ثم نلاحظ الشخصية

twitter @baghdad_library

المنتقلة والمصنفة لذكرياتنا ، إن المعانى تختفى ، ومن ثم نحاول استرجاعها .

هل نتجنب السقوط بعملنا هذا .. هكذا يسأل روكنتان نفسه وهذا أيضاً واحد من الأسئلة الرئيسية فى الكتاب ، فشعور روكنتان الذكى فى تحطيم المعنى دفعه إلى أن ينظر إلى البرجوازى ، إلى الماضى والحاضر وإلى المدنية التى ولد فيها — نظرة من ابتلى بعمى الألوان Clairvoyant إنه يلاحظ فى خوف يرجعه « جرس هان » ، كما يلاحظ الزخرفات المدعية فى يوم عطلة البرجوازى .

هذه الزخرفات ، هى هذه الأفكار القانونية والسليمة ، هى اختفاء عرى الحقيقة ، عرى الوجود ، ولكن هل يستطيع المرء أن يعمل بدون هذه الزخرفات ، ليكون خارج المجتمع ؟ ليملك كرامة إنسانية لشخص ضائع ، والتى غالباً ما تظهر بالنسبة لسارتر قيمة إيجابية ، وسبباً فى اعتبار جوجوين وراهبو أنبياء كبار فى تاريخ الوجودية .

إنه لكى تتخلص من الحرفية والجانب الروحى ، وبقايا الانسانية يجب عليك بالتالى أن تبتعد عن سوء الطوية وتتجه نحو الإخلاص : ذلك أنه عندما أضاءت نفس روكنتان شعر بأنه قد فقد دوره كإنسان اجتماعى موجود . إنه يشعر بأنه يستطيع أن يعمل أى شىء . ومن المهم أن روكنتان لم يكن موجود من أجل الآخرين Etre-pour-autrui وكذلك فانه غير متعلق بالآخرين وغير مرتبط بوجهة نظرهم . ولعل هذا جزءاً من شىء ماجعله يبدو فى حالة نقية . إن الاعتبار الوحيد فى نفس روكنتان هو سيدته الأولى Anny التى تعتبر بالنسبة له الأنا المتغيرة .

twitter @baghdad_library

إن تأملات روكنتان تعتبر نتيجة لوحدته ونقاوته الخاصة . فرغباته فى تمثيل مسرحية ما انخفضت إلى الحد الأدنى ، كما كانت نتائج تحليلاته على أى حال تبـــدو وكأنها أشياء سلبية بشكل لطيف ، إن ما يتعلمه روكنتان ، هو أن نحيا من أجل المستقبل لا من أجل الماضى . ولا نحيا كل جيل ولكن نحيا كل ثانية .. إن كل ثانية « مفرقة بعيدة عن الأخرى بمسافات متوازية منذ الأبدية » نحن لم نوجد لكى نعيش بأعيننا فى التاريخ أو فى كتاب سيرتنا — ولعمل ذلك فإنه يحتوينا سوء طويه Mauvaise foi وتختفى عذوبتنا وإخلاص مشاريعنا . وكما تجمد وتقتل اللغة أفكارنا فإن قيمنا سوف تتجمد إذا لم نموضعها لتتابع عمليات الهدم والبناء من جديد ، لقد اقترح هذا ضمناً بواسطة التحليل ، على أن سارتر لم يشرح هذا ولم يعالجه .

إن « الغثيان » لا تقدم إجابة واضحة للمشكلة الأخلاقية القائمة . أن رواية « الغثيان » كالناصح ، كمثل القصيدة المكروهة ، التى هى خلق سلبى « والأنذال فقط هم الذين يفكرون بأنهم هم الرابحون فقط » « إذا استطعت أن تفهم شيئاً فيجب أن تواجهه وأنت عار » إن روكنتان لم يحل مشكلة شكه وعلى أية حال فانه قد وجد وســـائل الخلاص الشخصى من ظلم الوجود ، إن روكنتان أفلاطونى بطبعه فأسلوبه المثالى تجاه الوجود والذى غالباً ما يتكرر فى الفكر هو ذلك الشكل الهندسى ، النقى ، الواضح ، الضرورى اللاموجود . إن النغم الصغير الذى تموت فيه النوت الموسيقية واحدة تلو الأخرى بإرادتها تملك أيضاً نوعا من الضرورة ، وكذلك فان روكنتان يجد خلاصة الغامض من خلال هذا

twitter @baghdad_library

النغم الصغير ، إن روكنتان يفكر فى الزنجية واليهودى اللذان خلقا «الأغنية» وبررا وجودهما بهذه الأغنية ، إن خلاص الزنجية واليهودى خلاصا صادقا مستأنفا وبسيطا . وإذا كان الخلاص موجوداً فان وجود هيرو ستراتيوس قد برر أيضا ، (أوقد هيروستراتيوس Herostratus النار لمعبد ديانا فى أفيوسيوس من أجل أن يكون مذكوراً وسارتر يدوس هذه الرؤيا الحديثة لهذه الشخصية فى قصته الجدار Le Mur) إن اليهودى والزنجية لم ينقذا لأنهما خلقا عملا فنيا عظيما كما أن سارتر يختار أغنية « Some of these days » كأغنية حية وهى لهذا السبب ليست شكا ذلك أنها ليست تحقيقا كبيرا . ما هو الخلاص الذى يأمله روكنتان فيما بعد ؟ إننا نستطيع أن نرى مظاهر هذا الخلاص من خلال فقرة أو فقرتين فى نهاية الرواية .

« إن اللحظة يجب أن تأتى عندما يكون الكتاب مكتوباً ويجب أن تكون هذه اللحظة ورائى . وأنا أعتقد بأن قليل من أشعتها يجب أن تسقط على ماضى ، ومن ثم يمكننى أن أتذكر حياتى ، بدون قرف . يجب أن أكون قادراً فى الماضى وفى الماضى فقط لكى أرضى بنفسى » .

هناك أناس يأملون فى الخلاص عن طريق الفن . فبرجينا وولف التى تحاول « أن تجعل اللحظة شيئاً دائماً » بتطويلها بشكل غير عمل ، وجيمس جويس الذى يحاول تحويل الحياة نفسها إلى أدب وإعطاءها من روح الأسطورة ، وبروست الذى يبحث عن الزمن بواسطة الذكرى ليقبض فى الحاضر ، على ماضيه ، لكن ما يقدمه روكنتان شىء يختلف عما يقدمه هؤلاء . فهو لم يتصور بأنه بينما يكتب روايته سوف يعتريه أى

twitter @baghdad_library

شعور تبرير ما ، أو حالة هروب من غموض ما ، ولم يفكر فى أن يبقى على كتابتها وعلى وجود الكاتب ، ولكى يفعل ذلك فإنه يجب عليه أن يسقط فى جميع الكائن التى واجهها فى كل مكان ليحاول الإمساك بالزمن من المؤخرة ، وأكثر من ذلك فهو خلال الكتاب سوف يكون قادراً على الحصول على مفهوم لحياته الخاصة .. كالحصول على النقاوة والوضوح والضرورة التى خلقهـــا الفن بواسطته والتى سوف يملكها روكنتان، ولعل هذا ما أفهمه من قول سارتر بأن « الأشعة تسقط على المعنى » ، ومع ذلك فليست هذه نتيجة صغيرة أو نتيجة غير كافية .

إن الرواية يمكن أن تكون فكراً كالإلهام فى حالة الاستدارة ، ومع ذلك فإن المقارنه تبدو هنا ملائمة أكثر من أى حالة أخرى فى الفن . وهى بصورة خاصة يمكن أن تكون فكراً كتصنيف لصورة الحياة والشخصية كما يمكن أن تكون شكلا ذا اكتفاء ذاتى معين .. وكذلك نوعا من الضرورة المتصلة بصورة داخلية . ولكن كيف يحول روكنتان انطلاق هذه الملكيات المحببة حتى بالنسبة لماضيه الخاص . وإذا لم يوجد له أفكار معاصرة ، فهل يستطيع تداول الشكل الضرورى لماضيه ومن ثم فلا أحد يستطيع أن يتخيل تدريجياً ذلك الماضى . إن روكنتان عمل من أجل كمال العمل الفنى ، من أجل تداول الضرورى . إن أى معنى للضرورى يجب أن يكون ظاهريا فقط ، وبالنسبة الأسباب التى قد يقدمها كلها خلال الكتاب . إن أحسن ما يستطيع أن يأمله يجب أن يكون لتحقيق معنى فورى للتبرير بتأمل الجمال الشكلى للرواية والقول لنفسه بسرعة كبيرة « أنا فعلت ذلك »

twitter @baghdad_library

إن أهمية « الغثيان » لاتكون فى نتيجتها التى رسمت بشكل مجرد ، ذلك أن سارتر لم يطورها بما فيه الكفاية حتى فى كون وضعها حلا للمشكلة . وأهمية هذه الرواية تكمن فى الصورة القوية التى تحددها ، والأوصاف التى أثارت الجدل ذلك إن هذه الفراغات الكثيفة ، اللزجة ، السائلة ، تحقق فى بعض الأحيان نوعا من الشعر القبيح ، تستصرخ القارىء — كما تفعل معظم الفقرات فى عمل سارتر — وهذا النوع من القرف المقبول Une Espèce d'ecoeurment douceatre هو أحد أشكال «الغثيان» نفسها. ومع ذلك فإن النتيجة تكون دائما غير مرضية . فسارتر متعلق إلى أبعد الحدود بالطبيعة الحقيقية للإدراك .

إن سارتر يلجأ إلى نفاذ الصفات الحساسة وإلى اختلاف « ما نراه حقيقياً » لمفهومنا العقيم عن العالم المرئى . إننا مدعون لإعادة اكتشاف رؤانا . أن الأشياء التى تحيط بنا هى أشياء هادئة بطبيعة الحال ومألوفة ، وغير مرئية ترى فجأة وكأنها غريبة أنها ترى وكأنها ترى لأول وهلة. والنتيجة تكون غير حقيقية وغير متفق عليها ومن الممكن أن تكون مؤثرة أيضاً « البحر الحقيقى يكون بارداً وأسوداً ملىء بالمخلوقات . إنه يزحف نحو الشاطىء ذلك أن شريطاً أخضراً رفيعاً قد تكون ليخدعنا » . « إن رؤية الفينومينولوجى تملك بعض الشىء بشكل عام مع ذلك الشاعر وذلك الرسام» . ماهو نوع رواية .. الغثيان ؟ إنها تبدو قصيدة أو تنغيما أكثر من كونها رواية . ونحن نجد أن بطل هذه الرواية يثير الاهتمام ولكننا لانجده يثير إحساسنا بشكل خاص . يقول سارتر فى « الوجود والعدم » إن الاستبطان النقى لايكشف الشخصية . فروكنتان يوصف

twitter @baghdad_library

على أنه إنســـان يفتقر إلى الأوهام العادية وإلى الاهتمامات بالوجود الإنسانى التى أصبحت أكثر فأكثر بدون لون . وحتى آلام روكنتان لم تحرك مشاعرنا. وبالنسبة له فإنه نفسه لم يكن خداعاً لآلامه . إن قوة ولون « الغثيان » كانا وكأنهما يلقيان بوعى روكنتان الشفاف المغالى به على الأشياء التى تحيط به ، أن البطل الشفاف فى عالم لامعقول يذكرنا بعمل كافكا . ولكن « الغثيان » ليست رواية ميتافيزيقية « كالقلعة » وكذلك فإن غموض سارتر لايشبه غموض كافكا . إن بطل كافكا ليس ذاته ميتافيزيقياً ، وأعماله تعرض وجهة نظر عامة ، ولكن أفكاره لم تحلل غموض عالمه. فى حين أن بطل «الغثيان» متأمل ومحلل والرواية ليست صورة ميتافيزيقية بقدر ماهى تحليل فلسفى ، يستعمل صورة ميتافيزيقية .

وهذا هو متأملها بصورة مناسبة ، أنه الشخصية الفلسفية الواعية ذاتيا والتى تميزها عن الروايات الأخرى .

ففرجينا وولف تبرز التعاقب التافه للحظات ، وبروست يخبرنا بأن ما نستقبله فى وجود المحبوب هو السالب الذى نطوره أخيراً ، وجويس يكوم التفاصيل فى قصته حتى لاتعدوها قصة فى الرؤيا .

فبطل كافكا يصر على أن هناك معنى فى المصلحة العادية للاتصال الإنسانى . وعالم هذا البطل ملىء بالملاحظات التى تشعر البطل بأنه مقيد بشىء ما ومدعو إلى شىء ما . وهو مدعو أبدياً إلى شىء ما بأمل بالرغم من أن عالمه يبدو دائماً بلا تحديد .

وفى جميع نشاطات بطل كافكا يأمل البطل من أجل المعنى دون أن

twitter @baghdad_library

يركنه فى أى مكان . و بطل سارتر بعد إشراقه يبحث عن معنى أى مكان ماعدا مكان إقامته ، فهو يبحث عن لياقة الأنغام وهندسية الأشكال. أن بطل سارتر لايتحرك من قبل الواقعة ، ذلك أن الإنسان قد كتب الروايات ، والروايات هى شكل الإنسان النقى الذى يخلصه من الغموض.

إن أزمة روكنتان تبدو وكأنها أزمة فياسوف بينما تبدو أزمة بطل كافكا وكأنها أزمة أى شخص عادى .

ونحن فى الحقيقة لانرغم أنفسنا من أجل إيجاد عالم كل يوم .. المكان الفاقد الشعور — ولكننا إلى أبعد الحدود نحاول إيجاد هذا المكان بعد مجهود كبير لنقيم معنى مظاهره المعينة . أننا نميز معضلة بطل كافكا وكأنها معضلتنا .

إن مشكلة روكنتان ليست مشكلة إنسانية عادية إن روكنتان شخص ميتافيزيقى بحت.. وهذا يبدو من خلال مزاجه ومن خلال حياته الكلية التى تفتقر إلى العلاقات الإنسانية . وأنا أعتقد أن سارتر قد أراد أن يقدم لنا هنا صورة للموقف الإنسانى بشكل عام . كيف نجح سارتر بصورة لاتدع إلى الشك فى إظهار بنية فكره لنا ؟ إن رواية « الغثيان» أسطورة سارتر الفلسفية وجبريل مارسل يسأل : هل يلمس سارتر قرف العالم الزائد أكثر من لمسه لروعة هذا العالم؟ وماهو الرمز الأساسى بالنسبة له ؟ أن سارتر يناقش سحر اللزج فى « الوجود والعدم وخاصة فى فصل «الصفة كوجود ظاهر» ويصف هذا السحر على أنه «مقولة وجودية مباشرة وحيدة .. » إن هذا السحر واحد من المفاتيح الأساسية ، أو الصورة

twitter @baghdad_library

الأساسية فى حالات فهمنا للأسلوب الكامل لوجودنا ، وأن الشخصية الجنسية لهذا السحر هى مجرد واحدة من تحديداته المحتملة . وسحر اللزج يسحرنا منذ البداية لأنه يفيدنا وكأنه صورة للوعى ، وصورة لأشكال كثيرة مناسبة لعالمنا . إن التشبيهات التى تقارن العقل بالمظاهر اللزجة لمرء حساس، ليست مجرد أشكال لخيال ناضج .. إنها تمثل المقولات التى نستعملها منذ الطفولة المبكرة . إن المواد اللزجة تسحرنا وتزعجنا كما أننا نفرح باكتشاف أعماقها وملء التجاويف ، وهـــذا أصلا لا للأسباب التى قدمها أتباع فرويد ولكن لأننا نسيطر على هذه التجاويف وكأنها مقولات الوجود الأكثر شمولا .

إن روكنتان يكشف عن الموقف الإنسانى بطريقة أسطورية مبسطة. وأمله يتبع النموذج التخطيطى الذى حلله سارتر فى « الوجود والعدم » كأرضية سهلة لجميع المحاولات . وهذه المحاولات ليس لها أى شكل للمشروع الإنسانى فى حد ذاته سواء كان جنسياً أم سياسياً أم دينياً. وهذا التحديد الجمالى الذى تبنى فى النهاية عبارة عن تخطيط بسيط للحل ، إنه احتمال مجرد ، يترك النموذج بدون تغيير .

وبالنسبة لروكنتان فإن جميع القيم تكون فى عالم يفتقر للكمال المناسب الذى يمثله روكنتان لنفسه فى شروط عقلية بسيطة .

وروكنتان حتى فى النهاية « لا يخدع بالخيال ذلك إن أى شكل للمجهود الإنسانى مناسب لطموحه فى الانضمام إلى ذلك الكل . يقول سارتر فى كتابه « ماهو الأدب ؟ » إن الشيطان هو لاجبرية الإنسان كما أنه عالم الفكر، وهذا بالطبع هو شيطان روكنتان وهو الشىء الوحيد

twitter @baghdad_library

الذى يميزه روكنتان — مثل الوجود المناسب الذى هو الخير الوحيد الذى يميزه روكنتان أيضاً .

« فالغثيان » تمثل النموذج العارى للوجود الإنسانى المضاء بالوعى الذاتى الفلسفى ذلك الذى يكشف التحديدات الخاصة لمشاريعنا الغامضة. كيف يدعونا سارتر لفهم أسطورته ؟ أن سارتر لم يهتم بشكل واضح بالحل الجمالى ولاحتى روكنتان أيضاً بالرغم من أنه يهتم بمجموعة من التحليلات السياسية المعينة . أن روكنتان يلاحظ بقرف التوتر العارى للرابط البرجوازى — ولكن شعاع الحياة النقى مع ذلك النغم الصعير الموهوب لا يظهر له أطلاقاً بأنه قادر على متابعة شكل النهاية السياسية .

إن عدو المذهب العقلى وعدو المذهب المساهى يبرزان فى الكتاب مع أنهما فى بعض الأحيان يزودان بمناقشات سلبية ضد الرأسمالية أو بصورة أكثر شمولا ضد النقابية والبيروقراطية ولا يأخذ مطلقاً بالشخصية الايدلوجية الإيجابية .

ولكى نفهم «الغثيان» كاملة يجب علينا أن نقرأ أعمال سارتر الأخرى فالأسئلة التى تثيرها هذه الرواية سوف تجد إجابتها فى أعمال سارتر الأخرى، حيث أن ملاحظة أكثر إيجابية تثار . ذلك أننا مرئيون ليس بشكل عار مجرد من الموقف الإنسانى بصورة عامة ، ولكن بموقف يحمل لون مشاريع سارتر نفسه ، وعلى أية حال فإننا فى « الغثيان » نبقى فى مستوى تجريدى « فالغثيان » فاتحة مدمرة لأعمال سارتر . إذ أنها تقدم لنا على قدر ما تتسع الصورة المناسبة للوعى الإنسانى . تلك الصورة التى سوف أناقشها فيما بعد . والآن ماذا قدمت لنا « الغثيان » بصورة خاصة ؟ هل قدمت لنا تمثيلا قوياً لأسس الصورة السارترية الميتافيزيقية ؟

twitter @baghdad_library

قصور اللغة

يقول سارتر .. إن وظيفة الكاتب أن يتكلم بوضوح وبساطة .. وإذا فشلت الكلمات فى تأدية واجبها فإن وظيفة الكاتب يجب أن تحول هذا الفشل إلى نجاح .. وإذا أبدى شخص ما أسفه على عدم استطاعة اللغة التعبير عن الحقيقة — مثل برايس باران — فإن هذا الشخص يجعل من نفسه مساعداً للعدو .. الذى هو الدعاية .. فأنا شخصياً لا أثق بالمنعزل .. فالمنعزل هو مصدر القسوة كلها .. »(١) .

ماهو قصور اللغة ؟ إنه من المستحيل إعطاء إجابة كاملة على هذا السؤال . والحقيقة هى أن معرفتنا للغة قد تغيرت فى الماضى القريب ذلك أننا استطعنا اتخاذ اللغة — لا لزمن طويل — كوسط للاتصال مسلم به . إن اللغة قد فقدت شفافيتها .. ونحن مثل أناس ينظرون خارج

---

(١) ماهو الأدب؟ ص ٢١٠ـ٢١١ . مقتطفات أخذت من «ما هو الأدب» ؟ ترجمة برنارد فرشمان . أما جميع المقتطفات الأخرى المترجمة فهى من ترجمتى .

« أ . م »

twitter @baghdad_library

النافذة دون ملاحظة الزجاج وبعدئذ يبدأون فى ملاحظة هذا ، إن البدايات لهذه المعرفة الجديدة كانت بعيدة جداً (فى انكلترا يستطيع المرء أن يجدها عند هوبز ولوك) ولكنها كانت فقط فى القرن التاسع عشر ، ذلك القرن الذى اتخذت فيه شكل تعمية المعرفة والتهام الأفكار السائدة . فكلما نظر المرء إلى الظواهر كلما ملك شعور الاكتشاف الذى تكون فى جميع المجالات ذات المدار الواحد وهو الشعور الذى يغرى الناس إلى إثارة عبارة « روح العصر » العقيمة. أن شخصاً ما يبدأ بربط « مفهوم العقل» بالكتل السريالية الحجرية . . ويربط أيضاً منطق هيجل بيقظة فينيغيان Finnegan's wake (يحاول إيجاد الوجود بطريقة وحيدة مركزة . . كالمرء الضخم المخترق الشاذ) .

من الممكن أو من المستحيل أن يدعى هذا العصر عصر التفكير « الوجودى » ولكن هذا العصر بصورة خاصة هو نهاية التفكير الوجودى . فنظرتنا البسيطة الشيئية للعالم هى وجود متغير وغالباً ما تكون مستوى منفصلا ماضياً ، والأزمة فى نظرنا بالنسبة لعملية اللغة هى أزمة حتمية . وهذه الأزمة من الممكن أن تظهر فى بعض الأحيان كابتهاج نقى لاكتشاف جديد ومن الممكن أيضاً أن تكون ملاحظة صحيحة . إن الأزمة بدون معنى التفكك تلك التى أعلنها « مونيه » هى عبارة عن مبدأ شخص فى صورة كانت واضحة . ونحن نلاحظ بأن الرؤيا المشرقة للرسام الانطباعى ، وعالم الموضوعات ذات الاحتواء الذاتى قد تحولت إلى ومضة مضيئة (للظواهر) ، كذلك فقد تحولت إلى نوع من الرقص (حقائق المعنى). ولعل هذا كله قد عمل باسم الواقعية

twitter @baghdad_library

الجديدة تلك الملاحظة التى تخلصت من تسلط (الماهيات) القذر ، ومن الأفكار العامة ، واستطاعت أن تكون مخلصة لنظرات العالم الحقيقية الآنية . وعلى أية حال فإن الكاتب الذى يتعامل مع الكلمات بدا وكأنه يقاسى نوعاً فريداً من التغير المفاجىء المرير ، وبدا أيضاً أقل استعداداً لتقبل التكنيك الجديد .

إن معنى التغير السريع المنفصل ومسئولية الكلام فى الموقف المدرك والشعور (بتلاشى) الوجود والجريمة الغامضة فى المجتمع المادى اللاإنسانى : كل هذه المظاهر يمكن أن تقود إلى قرف الكاتب واشمئزازه. ولكن ماهى (الأسباب) ؟ هل كانت الشاعر الذى تكون علاقته باللغة أكثر حساسية دائماً وأكثر خروجاً عن قواعدها بشكل سهل أكثر من كاتب النثر الذى يعرض أو ما يعرض رد الفعل العنيف . أن الشعر بالنسبة للرمزيين بدا وكأنه غارق فى غموض جامح متمرد عنيف . إن لغة الشعر ليست فى المعنى العـــادى (المتصل) ولكنها مأخوذة عادة ــ كشىء مسلم به ــ كقوة عادية لمرجع ممتلك من قبل الكلمات والجمل. إن قوة الكلمات والجمل تتمركز بشكل واضح وجميل فى عبارات العالم . إن ضبط الدلالة قد تزيد فى بعض الأحيان وتقل فى الأحيان الأخرى وهى على أية حال مهمة بالنسبة للشاعر ولكنها الآن بصورة مفاجئة بدت وكأنها تلك الشخصية الدلالية الكاملة للغة والتى أصبحت بالنسبة للشاعر نوعاً من الإثارة أو حجر العثرة. إنها تبدو وكأن الشاعر قد بدأ يرى العالم بصورة غريبة مميتة ، كذلك تبدو وكأنها كتلة كبيرة لوسائل معقدة . ومن أجل فقدان طبيعة (الشىء) الشاذ لرؤيا شخص ما ومن ثم من أجل

twitter @baghdad_library

الشعور بضرورة النطق فإنه ينبغى الخوض فى تجربة تحطيم اللغة التى يمكن أن تكون ملتقية فى واحدة من هذين الطريقين . إن الشاعر يمكن أن يقبل ، بل حتى يصر على معناه ، ذلك المعنى الذى هو اختراق مضطرب للحقيقة . والشاعر أيضاً حاول أن يجعل اللغة تعبيراً كاملا لهذا العالم الثرى ، ولعمل هذا فإنه يجب إضعاف الشخصية المرجعية للغة بتحميلها فوق طاقتها ، ومن ناحية أخرى فإن الشاعر يمكنه أن يحاول استيعاب اللغة التى لاتملك القدرة على التعبير ، كذلك فإنه يحاول أن يصحح هذه اللغة لكى تكون بناءاً نقياً غير مصدرى فى ذاته الخاصة إن رد الفعل الأول قد جاء من قبل « رامبو » ورد الفعل الثانى قد جاء من قبل «مالارميه»(١) .

إن رامبو يبدو وكأنه يبحث لتحقيق مايشبه الحلم الكامل حيث أن اللغة لاتتكامل من خلال تحديد للمعنى ، ذلك أن كثافة ودقة الصورة الحسية تنتج خليطاً غنياً يتراكم بشكل مضطرب فى ذهن القارىء . فى حين أن « مالارميه » يبحث بصورة أبعد من ذلك ، لكى يجعل اللغة تؤدى عملا باهراً مستحيلا للوجود بصورة بسيطة دون الحاجة إلى الإسناد . إن القارىء مرتبط بتنغيم نقى حيث أن المعانى العادية للكلمات تبدو نقية بشكل منظم . إن المعنى يتهاوى فى حالة واحدة .. عندما

---

(١) إننى مدينة إلى كتاب الآنسة اليزابث سويل (البناء الشعرى) الذى قدم نموذجاً كاملا من خلال هذا التناقض . أنظر أيضاً كتاب : جن پول هان فى « Lesfleurs de Tabes » الذى يحلل أيضاً تخطيطين للصراع مع اللغة .

twitter @baghdad_library

تحمله أكثر من طاقته وعندما نحاول إخفاء روعته . إن ميزة كل من هذين الشاعرين تتمثل فى طريقة تصورهم للغة على أنها عمل ميتافيزيقى شاق وعلى أنها رسول وجد من أجل تبليغ رسالة ما . وقد ركز كل من هذين الشاعرين اهتمامه على اللغة نفسها ، وكانت قصائدهم تشبه شيئاً ما غير متصل ، غير شفاف بدرجة كافية . إن كلا من هذين الشاعرين له أبنيته المستقلة سواء كانت خارج العالم أو داخله. ذلك أن اللغة قد فقدت شخصية الحديث المتصل . وبالنسبة لهذين الشاعرين فإن النتيجة كانت الصمت : بالنسبة لرامبو كان صمتاً حقيقياً ، وأما بالنسبة لمالارميه فقد كان تناقضاً ذاتياً للصمت المثالى لمجموع الشعر النقى .

إن كلاهما شرع ولمس أيضاً حالة الجنون التى حوله. وإذا كانت هناك نتيجة سحرية معينة تستطيع أن تكون ناتجة من قبل التلاعب بالكلمات فإن هذه النتيجة ستكون مشكلة كونية محلولة ، أو حادثة كونية مستنتجة .

إن المرء لا يذكر « كيريلوف Kirillov » فى (المالك) The possessed الذى يشعر بأنه فيما إذا استطاع العمل الحر أن يؤدى واجبه فإن الروابط يجب أن تتلاشى من الجنس البشرى كله ، أو أن الانشطار المتخيل للذرة سوف يعقد الوجود . هل يتغير للعالم أولا ثم تتغير اللغة بعد ذلك ؟ أو هل تجعلنى المعرفة الجديدة أنظر إلى العالم نظرة مختلفة ؟ فى هذه المجالات المتفرقة تكون تجربة اللغة متغيرة باستمرار. ذلك أن الشىء الجديد يملك وسطاً وجودياً هو عبارة عن اكتشاف نقى إن هناك شيئاً ما يتفجر بصورة غير متوقعة فينا وهو الذى كان وحيداً

twitter @baghdad_library

وشاذاً بالنسبة لهذا السؤال . إن فيلسوف الوعى الذاتى الجديد بالنسبة للغة أكثر إشراقاً من القصور. كتب أ. أ. ريتشارد فينسانت سنة ١٩٢٤ فى كتابه (مبادىء النقد الأدبى) يقول (ليس هناك ثورة هامة فى تفكيرنا الحاضر قدر إعادة اكتشاف ما نتحدث عنه) إن العلم وليس الشعر ذلك الذى أخفى الثورية بالنسبة لوعى الفيلسوف فى اللغة . إن القرن التاسع عشر قرن ازدهار الأساليب العلمية والمذاهب الرمزية الهندسية التى اتحدت مع بعضها البعض وجعلت الفيلسوف ينظر إلى علاقة الرموز المتضمنة للكلمات على أنها حقيقية على ضوء جديد . إن اللغة قد فسرت بشكل مفاجىء على أساس التقسيم العلمى : فمعنى الجملة يحدد بالضبط بواسطة تفسير الملاحظات الشاذة الغريبة التى يجب أن تقرر حقيقتها . إن اللغة كانت إلى زمن غير بعيد لفظاً لتسمية الأشياء وكانت أيضا أشياءاً تجريبية كما أنها كانت منظورة كطريقة لتحديد ، وتفسير معنى التجربة . إن الموضوعات الميتافيزيقية كانت قد حذفت وكذلك فإن الموضوعات الطبيعية كانت غير مكتملة الظهور . (إن حدود لغتى هى حدود عالمى[1]) . ومع المعنى الجديد للقوة فإن الفيلسوف بشعوره الدقيق تجاه اللغة بدأ يرى الكلمات وكأنها هيكل مصمم للحقيقة ، ومع مقياس المعنى الذى أخذ من العلوم فإن هذا الهيكل على أى حال كان إلى حدما هيكلا مقيدا . إن معنى الشعر والمعنى الدينى اللاهوتى وكذلك معنى الأخلاق والسياسة ، هذه المعانى كلها ظلت نظرية تتضمن مشكلة ما . إن البحث فى أى حال هو فى حد ذاته عبث . فبالنسبة للموضوعات الغريبة

---

(١) Wittgenstein .

twitter @baghdad_library

التى سميت بمختلف الأسماء كانت موضوعات غير متصلة بشكل إرادى ولكن هناك بعض الوقت قبل الدراسة المتأنية التى كانت قد شملت (منطقهم) المعقد . إن اللغة قد قسمت بين استعمالين : الاستعمال الوصفى والاستعمال التجريبى بطريقة قوية ، وكذلك استعملت اللغة فى نواح عاطفية . إن القضايا التى فى السؤال كانت بعد ذلك (معنى عاطفياً) لتصبح تعبيرات عن الشعور بدون مصدر خارجى . وحتى بالنسبة لمعنى الشعر الذى أصبح موضوعا للمقاييس السكيولوجية أكثر من كونه مجرد استنتاج منطقى . إن النتيجة المباشرة لهذه الحركة كانت فقدان الثقة فى قوة اللغة المتصلة فى هذه المجالات . وإن اللغة على أساس أنها اتصال سليم تبدو ممكنة فقط عندما تكون ضد الخلفية العامة للعالم .

وبالنسبة للذين يملكون مظاهر مطبقة فان استعمالات الكلمات تستطيع أن تكون متصلة بارتباطات وثيقة . وفى مجال الأخلاق واللاهوت وحتى فى مجالات الفلسفة السياسية هناك سفسطة كثيرة حول وظيفة الكلمات تلك السفسطة التى تعود إلى إضعاف معنى العالم العام . إن (الخير) كان إلى وقت قصير فكراً لتسمية الصفات الذاتية ولم يكن (ديمقراطية) تحقق شكل الحكومة ، وظهر الاختيار ليعتبر هذه الكلمات وكأنها صرخات مميزة للوجود الذى — بعد ذلك كله — قد تحول ليكون مزيجاً من العقل النقى والعاطفة النقية . لقد كان هذا هو مظهر الإشراق المفهوم بصورة غامضة من قبل النقاد والذى استغل العاصفة التى كانت تهب بين الحين والآخر ضد (المنطقية الوضعية) التى كانت أستاذة لمذهب سينيكا والتى كانت إضعافا للعقيدة فى مهدها . إن إمكانية التأكيد القوى

twitter @baghdad_library

بدا وكأنه قد استبعد . وعلى أية حال فإن هذه الحالة البائسة كانت أكثر معرفة ذاتية ، تلك المعرفة التي تعود إلى تعقيدات (الحياة الانسانية) . وبالتدريج فإن الفيلسوف يأتي ليرى اللغة لا على أساس أنها مرآة مصممة أو حتى على أساس أنها شكل مصنف لتجربة العالم الحساسة ، ولكن على أساس أنها نشاط إنساني من جملة النشاطات الإنسانية الأخرى . فاللغة والعالم لم ينفصلا ، ذلك أن اللغة الآن غنية في ذاتها وهي تشكل قسما من هذا العالم . ومع هذا المفهوم جاء الاستعـــداد لدراسة النشاطات الإنسانية في مميزتها الخاصة ، ومن ثم لدراسة الطرق المعقدة للأوضاع الدينية والسياسية والأخلاقية . ومع ذلك فإنه السحر القوى والوضوح العاطفي الموصوف يبقى سحرا غير مثير ولكن هذا السحر يستأنف بعد ذلك بالطبع على ألا يستعمل في تعداد المزايا الفلسفية المبهمة . أن هذا السحر القوى يعطى أيضاً تعبيراً ذهنياً كما أنه يعطى تبريراً للمعنى الحقيقي المفكك ، ذلك أن عالم الأفكار والقيم المفككة تبدو لتكون عامة بالنسبة للتفكير الموجود . إن وجهة نظر تلك الملاحظات السياسية والأخلاقية تعبيرات بسيطة للعاطفة التي من الممكن أن تحدث لأى قارىء ناقد في الصحافة اليومية . (ووجهة النظر هذه هي بالضبط ذلك الشعر النقي الخارج على القاعدة والذي يمكن أن يكون ذا أثر جميل بالنسبة لقارىء رامبو) إن هذا الضعف والغموض لمعنى الحالات الأخلاقية والسياسية ليس قائماً بالصدفة . إن عالم القرن التاسع عشر ذلك العالم الأصغر الممتد حيث ان القوى العظيمة لم تقم فقط مستضعفة وفاقدة لشيء ما ولكنها كانت غير ملتزمة وغير متحدة وعاجزة عن الكلام . إن هذه القوى تستطيع أن تفكر في ذاتها

twitter @baghdad_library

كعالم وحيد حيث أن العلاقة العقليـة فى كل نموذج كانت محتملة . وهذا الادعاء يستطيع أن يكون قائماً إلى وقت قصير إن تحطيم عبارة المعنى يتم فى مجالات خاصة ، تلك المجالات التى تبدو لتكون تحقيقاً لعمل فلاسفة اللغة بشكل منعزل، أو تكون وكأنها خادمة للعلم. ومن الممكن أيضا أن تكون مرئية كنتيجة للا كتشاف التراجيدى. هذا الاكتشاف الذى يستطيع معه الرجال العقليون أن يملكوا طبائع مختلفة ويروا العالم باختلاف متطرف كذلك فإنها يمكن أن تكون انحلالا لخلفية حقيقية عامة. وبعد ذلك كله يمكن أن تكون تلك التى انتهزت السفسطة اللغوية ولن تكون هى الأخيرة التى فرضت، والأولى التى تشبه الوهم . ومهما يكن السبب فإننا نستطيع أن نتصور أن جميع الرجال المتأملين يملكون قيما وأغراضا عامة . وفى مثل هذه الظروف فإنه من الممكن أن تكون اللغة فى حالة مرضية لكى تكون قادرة على تأدية صعوبات مستنتجة ، ليس بالنسبة للعالم المسئول أو لأنفسنا القابلة للتهذيب ، ولكن بالنسبة للغرابة الشاذة فى الفصول المناسبة وكذلك وبالنسبة للاتصال .

إن الشعر تأثر أول ما تأثر باضطراب اللغة . فى حين أن النثر والرواية بشكل عام كانا قد تأثرا من ثم بذلك الاضطراب . وعلى أية حال فإن هذا ليس بالشىء المثير ذلك أن الرواية عادة هى قصة ، وتلاوة القصة يتطلب استعمالا مصدرياً شأن اللغة لوصف حادثة بعد أخرى . إن الروائى يبدو ليكون بحكم عمله أكثر تأصلا بشكل عميق فى العالم العادى حيث الأشياء كانت أشياء آ والكلمات ظلت محافظة على أسمائها . وبعد .. فإنه قد حصل تغيير عميق بالنسبة لكل من التكنيك البنائى

twitter @baghdad_library

للرواية وبالنسبة لاستعمالها اللغة من صفحة إلى أخرى . أن الروائى بدأ الآن أيضاً ينظر إلى الأدب على أساس أنه عمل ميتافيزيقى ، فى حين أن معنى العالم كان فى خطر . قارن بين موقف بروست بالنسبة لعمله وبين موقف تولستوى ، أو حتى موقف كونراد . إن كتابات كل من تولستوى وكونراد تعرض العالم الخارجى فى نفس الوقت الذى تكون فيه هذه الكتب مزودة بإجاباتهم على مشاكل الحياة فى حين أن عمل بروست « هو » فى ذاته إجابته على مشكلة الحياة ؛ أن العمل الإنسانى قد أصبح عملا أدبيا كما أن الأدب أصبح مشروعا كليا حيث أن ما هو مجربا يمكن أن يكون تسوية بفضل التناسب . هناك عوامل واضحة تجتمع لأضعاف الكاتب : سرعة تغير العالم الأخلاقى والاجتماعى والذى كون المادة الخام للكاتب ، الحرب والايدلوجية والعناصر الجديدة للقسوة ، كذلك عذاب الحياة اليومية ، وأخيراً وجود المحللين الشخصيين . ولعل هذه المشكلة — وجود عوامل أضعاف الكاتب — كانت موجودة بين صفوف المشتغلين بالأدب والذين طوروا هجومهم المتعمد الوحشى إلى ما يسمى بالسيريالية . لقد ولدت السيريالية فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٤ تحت تأثير داديه ترستان تزارا Tristan Tzara كحركة مكروهة هدامة ضد المجتمع وضد التقاليد الأدبية . وفى نفس الوقت تطورت هذه الحركة إلى لا حركة ذات مشروع ثورى خطير بقيادة أندريه بريتون . لقد بدأ الأدب يجور على الحياة وجاء السرياليون ليعكسوا الأساليب الأدبية وفرضوا أنفسهم غير مباين أو مكترثين بقواعد الأدب والأخلاق . لقد ازدهر السرياليون بفضل كراهيتهم العميقة لمجتمعهم

twitter @baghdad_library

وبفضل إيمانهم العميق فى تحرر القيمة . . قيمة الاستكشاف المتحرر للانسان اللاواعى .

لقد كان الشعر رحلة فى عالم حالم ، واللغة نفسها كانت بشكل بسيط واسطة للنطق الأوتوماتيكى ، كذلك فهى مصيدة فى أعماق العقل وفى نفس الوقت فإن اللغة روابط ممتدة للشىء الحقيقى ، كذلك فهى النهاية التى تستطيع بشكل متساوان تصل بطرق مختلفة ، سواء أكانت هذه الطرق هى الكليات ، أو نسيج الموضوعات الهادئة ، أو الصراع الشديد ، أو الأعمال العقيمة .

إن الشىء الذى بحث عنه لم يكن هنا الآن ، إنه فى الغد . إنه قيمة « الحقيقة » ولكنه الخصب المميز و « الحقيقة » الخاصة .

لقد أعلن السرياليون بأنهم أتباع رامبو الذى كان منافساً لمالارميه . فالسرياليون قد رفضوا الصراع الذهنى مع اللغة ومحاولة استبعاد وعزل اللغة عن الحياة ، أو محاولة هدم المعنى ، خارج الحياة . بل لقد كانوا أكثر من ذلك . لقد كانوا مطية سهلة للكلمات التى تحملهم إلى متاهات مغلقة ذات أرضية يابسة .

وفوق هذا كله فقد كان رامبو مؤلها لأسباب أخرى : لأنه دخل إلى الحياة من خلال الفن ، ولأنه فى النهاية رفض الكلام ، ولأنه أيضا عاش قدره بشكل مفرط وبشكل كبير ، ذلك أن الطويل الواسع المعقول لجميع الحواس هو الذى قال عنه رامبو بأنه يجب أن يكون عمل الشاعر (النظام الذى كان ليعمل من الشاعر ، المريض الكبير ، والمجرم الكبير ، والمكروه الكبير ، ومن ثم العالم المتعالى) هذا العمل — عمل الشاعر —

twitter @baghdad_library

هو الذى تبناه السرياليون على أساس أنه البرنامج العالمى للفعل. وعلى أية حال فإن النشاط الثورى لا يستطيع أن يبقى على خطة الخلاص الشخصى بسهولة ذلك أن السرياليين قد وجدوا أخيرا بأنهم كانوا مسافرين تابعين وأنهم فى نفس الوقت مستعدون لتقبل معظم مظاهر الماركسية (١) الرومانسية . وعلى أية حال فإن انتعاش الروح السريالية لم يرتبط بسهولة فى حزب منظم ، وكثيرا مثل السرياليين كان همهم احتقار الأدب ، ظلوا راغبين باعتباره قوة تحررية فى ذاته ، وليس أداة يستعملها حزب انتهازى فى تخطيطاته . وكثير مثلهم احتقر المجتمع البرجوازى ، ذلك أن الثورة بالنسبة لما يريدون كانت ثورة روحيـة . أننا لا نستطيع أن نؤجل طرح السؤال التالى :

هل هناك شىء ما يشبه الأدب السريالى ؟ أن الجـواب كان جواباً تقليديا سلبيا ، ومع ذلك فان الكتاب السرياليين لم يستطيعوا خلق تكنيك جديد ولكنهم أصبحوا حركة أدبية ، بفعل التكنيكات الأدبية التى وقفت فى طريقهم ، واصطدمت مع أسلوبهم فى التعبير . إن هذه الحركة لم تتكامل تدريجيا فى شطرين أو فى اتجاهين اثنين. الاتجاه الأول اتجاهها نحو الحدث المباشر عن طريق الحزب الشيوعى ، والاتجاه الآخر رجوعها إلى الأدب. إن اللغـة قد ربحت تلك المعركة الجزئية ، ولكنها انتقدت بشكل قاس فى المنهج . وصراع السرياليـة مع الموضوعات والتكنيك

---

(١) قال ماركس (أنه يغير العالم) وقال رامبو أنه (يغير الحياة) وهاتان الكلمتان من أجل النظام ومن أجلنا يصبحون كلمة واحدة هى ما قاله بريتون .

twitter @baghdad_library

ولغة الرواية فى فرنسا كان صراعا مباشراً كما أن تأثير السريالية قد جاء متأخرا . فى حين أن التكنيك الانطباعى ، كان قد ظهر فى انجلترا بشكل مستقل. ولقد واجه التكنيك الانطباعى المنهج الفوضوى للعالم المعاصر وبسرعة غير مدركة . وإذا استطاع شخص ما أن لا يجد مكانا فى هذا المنهج لنفسه كممثل، أو كانت اللغة بالنسبة لشخص ما أداه ، فإن شخصاً ما بعد هؤلاء يقف مساندا بحرية ، ومسجلا ببساطة الجزئيات كما تتغير بسرعة جاعلا خارجهم ما يستطيع المرء أن يكون ذو جمال شخصى مرغوب. لقد كتبت فرجينيا وولف تقول (الحياة دائرة ضوئية منيرة ، إنها غشاء شبه شفاف يحيط بنا منذ بداية الوعى حتى النهاية) (وهذا بالطبع ليس عمل روائية من أجل إيصال تنويع ما. فهذه روح غير محددة وغير معروفة . كيف يمكن بقدر المستطاع عرض التعقيد والضلال مع مزيج قليل لشىء غريب وخارجى ؟) إن التغيرات السريعة ذات التموجات الرمادية الحزينة لبطل « العشيان » مع النسيج الميتافيزيقى ما هى إلا لون وردى بالنسبة لأعمال وولف . كذلك فإن شخصيات وولف تبدو وكأنها أخذت من وسط طبيعى . أن النتيجة المنطقية لهذا الأسلوب قد ظهرت فى كتابات جيمس جويس حيث (شكل قصور رامبو) الطبيعة المصدرية للغة تعطى غالباً مفتاحا ما تحت تأثير طوفان الحقيقة المحدودة ، وتحت تأثير التعبير المطلوب ، وعندما أنهك هؤلاء الكتابة الأوتوماتيكية فإن السريالية قد رجعت إلى الخلف مع كتاب ماهرين إلى أشكال أدبية مؤكدة واستعمالات لغوية مدروسة . لقد حققت يقظة فينيغان كل هذا لوحدها . فالرواية تتجه نحو ما يدعى فيما بعد بالاتجاه

twitter @baghdad_library

الانطباعى [١] . إن المصورين الانطباعيين حاولوا رسم مايرون بالضبط مع النتائج المرعبة جدا . وإن ما بعد الانطباعيين قد أنتج شيئاً غريباً بواسطة اهتزاز المظاهر بشيء من الخفة ، أو بواسطة تلوينهم ببعض الأساليب الخاصة بهم ! (إن السرياليين قد اكتشفوا بجدارة كيف إن الاختراع الصغير يتطلب أن تجعل بعض الموضوعات اليومية تنظر بسخرية لتحول الصورة إلى كابوس) فالروائى ذهب خلف واقعيـــة ووالف الانطباعية ، ونحو أسلوب الرواية الذهنيه ونحو ممارسة التفكير ونحو نسج الكوميديات الخفيفة ، وكذلك اتجه الكاتب الروائى نحو معاناة مزيد من الوفاق مع اللغة : إن الذكاء والإشراق كانت الآن معطيات الكاتب فى حين أن الشكل التقليدى للرواية كان ظاهرا بشكل كلى لوعى الكتاب ذوى المواهب المحدودة والذين غذوا بأعمالهم المطلب العام ، ذلك الغذاء الذى كان الأدب السهـل للعقيدة الايدلوجية ، وللنظريه الايدلوجيه الضعيفه . إن موقف اللغة والأدب هذا لم يكن موقف سارتر وحده ذلك الموقف الذى أظهر فيه سارتر أسفه عليه . ففى انجلترا يرى د . س . سافيج [٢] ضمن حـدود السقوط الأخلاقى وضمن حدود أزمة القيمة (إن الفن كلام ، والـكلام مستحيل أساساً حيث لا توجد علاقة

---

(١) أنا مدينة فى هذا الإيضاح وهذه المقارنة مع الرسم للبروفسور بيولو وأنا لست متأكدة فيما إذا كنت قد عقدت نفس المقارنة لها .

(٢) الجذع اليابس دراسة عن همنجواى وفورستر وولف ومارجيت أفانس وهكسلى وجويس . أنظر ملاحظات سافيج الخاصة عن استعمالات جويس (السحرية) فى اللغة .

twitter @baghdad_library

وجودية مطلقة للحقيقة) . وطبقاً لمفاهيم سافيج فإن الروائيين الذين درسهم ينكرون هذه العلاقة بطرقهم المتنوعة ، ويتجهون نحو (عدم إمكانية الحديث) . لقد كتب سافيج فى مظهر هكسلى المبكر يقول : ان مظهره الأخير هو أن الجاهل يعنى ويرمى لا إلى التقمص على أساس أنه وقائع ذاتية فى عالم الأشياء ، ولكنه على أساس أنه حقائق داخلية . تلك التى تنتظر تحقيقهم للحركة الديناميكية الدخلية . إن الجاهل بالنسبة للحقيقة ذلك الشخصى ، وليس هو مادة مع تلك التى وهبتنا إياها الطبيعة ، ولكنه جمال داخلى يمكن أن يتحقق فقط عن طريق الاختيار الخادع للنفس . إنه يقوم بطريقة تعسفية سلبياته الخاصة للوجود ككل (صفحة ١٣٧) وفى مناقشته لجويس يقول (إن اللغة ليست منعزلة ، وهى كذلك ليست سحرية إنها اتصال مركب ، وهى متعلقة بالمعنى الشكلى الداخلى ، ومن خلال المعنى إلى الحقيقة التى هى قيمة غيبيه . إن اللغة تكون ذات بنيان قوى عندما تكون متصلة بشكل مباشر وتستطيع أن تكون متصلة فقط عندما يطمح العقل ذاته بشكل رأسى إلى الحقيقة على أساس أنها مركز مطلق) (صفحة ١٩٣) . إن المعنى والغرض لا يقومان على أساس حقائق موضوعية فى عالم الأشياء ، فالناس فى الحقيقة أصبحوا واعين بكل غامض . (فى العالم كل شىء يكون مثلما وجد ، وكل شىء يحدث مثلما حدث . فى العالم لا يوجد قيمة) [١] . وعلى أية حال فإن هناك تنويع فى ردود الفعل بالنسبة لتمزيق النسيج الأخلاقى

---

(١) Wittgenstein : Tractatus (P. 41)

twitter @baghdad_library

والاجتماعى . وعند ما تنسج القيم والأغراض بشكل مرضى فى داخل نشاطات الحياة العملية الممدودة العظيمة ، فان الفكر والعاطفة يتحركان معاً . وعندما يحتوى الحدث لمدة قصيرة اختياراً بين عوالم متعددة فإنه لا يتطور فى العالم . ذلك أن الحدث عندما يرغب ويقيم فان هذه الرغبة وهذا التقييم الذى كان فى يوم ما نغم حياتنا .. أصبح عبارة عن مشاكل متعددة . إن العواطف التى كانت عبيرا لما ادخرناه وما فعلناه بصورة غير تأملية تبدو الآن متأججة بشكل شديد وكأنها نار مجنونة Feux Folleto ذات لمعان هائل من جراء انفجار بركانى .

إن محاولة الاستمرار فى إنشاء معنى جامعاً للعالم السياسى والاجتماعى تماماً كما يعمل فيه ، يتطلب مفهوماً جديداً للقيمة التى ربطت هذه المحاولة ، مع شخصية وتأكيد الفعل . إن هؤلاء الذين كانوا مرتبطين مع الممارسة على السقالة وفى النوع الذى كان يتطلب مثل هذا التفسير هؤلاء المفكرون الذين كانوا ملتزمين بالمعنى الدينى والسياسى . هؤلاء جميعاً بحثوا عن الحقيقة فى الفعل المنسق وفى المظهر الرئيسى لفلسفاتهم . كذلك فقد فعل المفكرون الماركسيون أو الوجوديون . وأن هؤلاء الذين أقل ارتباطاً لسبب أو لآخر بالنشاط الايدلوجى مع التأمل فى الاختيار بين عوالم مختلفة ، كانوا مستعدين لقبول المعنى المقسم فى وجه قيمته ، كما أنهم كانوا مستعدين ، لأخذ مزيد من وجهات النظر الثنائية . إن الظواهر قد قسمت إلى حقيقى ، وغير حقيقى ، وإن هذه الظواهر كانت من عمل الفكر لتعبر أو تعكس الحقيقى ، وفى هذا الانعكاس الإيجابى ، أو فى هذا التعبير

twitter @baghdad_library

الاختيارى ، شملت الحقيقة تقييما ما وتمييزاً للحياة العملية ، لم يكن عن طريق الاختيار ، والتمييز الديناميكى .

إن الفلاسفة اللغويين (فى مظهرهم المبكر) أخذوا حقائق العلم ، وحقائق الحياة اليومية كشىء حقيقى ؛ لقد اعتبروا عالم الفن عالماً غير حقيقى ، كما اعتبروا السياسة ، أو الدين ، والعاطفة شيئاً كالحلم ، أو كالفانتازيا . وأن القيمة إن سقطت لتكون فى العالم ، كانت نوعاً من الاستغراب وأن الحقيقة إذا كانت مطابقة للواقعة ، فإنها تكون محققة بشكل محسوس . إن تفسير السلوك الإنسانى ، قد ترك للسيكولوجيين السلوكيين . ولقد اتبع هذا من قبل مزيد من المظاهر السوفسطائية ، والمظاهر الواعية ذاتياً ، كما اتبع من قبل أعداء المذهب الثنائى ، حيث أن اللغة جاءت لتكون وجهة نظر معطاه ، ليس على أساس أنها مرآة للعالم ، ولكن على أساس أنها نشاط حق بين نشاطات العالم . ومع ذلك فإن الثنائية التى قاومتها الفلسفة ظلت تحويلا فجاً لثنائية العقل — والجسد : ثنائية ديكارت (العالم التجريبى والروح الخلاقة) .

وبالرغم من مزيد من المعالجة المتأنية لحالات المنطق الأخلاقى ، فإن الدراسة الحادة للثنائية الأخيرة تركت لفلسفات القارة «الملتزمة» .

لقد ذهب السيرياليون مذهباً غير هذا المذهب : فقد اتخذوا العواطف والرغبات على أساس أنها مظاهر حقيقية ، كذلك فقد اتخذوا نوعاً هداماً من العواطف ، الذى لم يمكث طويلا مع القيم والأغراض اليومية ، وأخيراً فقد اتخذ السيرياليون أشكال اللاواعى ذات الألوان الممتقعة .

لقد فضل السيرياليون مساواة عالم الحلم اللا مميز واللا مقيم ، من أجل

twitter @baghdad_library

عالم المعنى اللا مميز واللامقيم . لقد كانت هذه هى الحقيقة التى ارتبط بها الكاتب ولم تكن (القيمة الآنية) للحقيقة تلك التى كانت فكرة خارج حدود الحدث التاريخى . لم يكن السرياليون مرتبطين بالفعل بتفاصيل برنامج عملى للعمل ، ولم يأتوا بشروط ما مع العالم بقدر كاف ليكونوا مرتبطين بصدق مع تفاصيل البرنامج العملى . إن ثورتهم كانت ثورة رومانسية دائمة ، كما كانت مواجهة عنيفة ، للبرجوازية المكروهة (حياة كل يوم) وحياة الرغبة كذلك فقد كانت ثورتهم عبارة عن صوت صدام أكثر منه صراعاً عنيفاً . إن ميزة كل من السرياليين ، والفلاسفة اللغويين ، كانت استعداداً لحل ما يبدو ثنائيـــة لا أمل فيها إلى واحديه Monisticism ثابتة بسيطة ، وإن هذا العمل يستطاع القيام به ، بواسطة أخذ مظهر واحد للحياة ، كمظهر كلى ، ومنطبق على جميع المظاهر الأخرى للظهور ببساطة على شكل سحب مسطحة . وبالنسبة لكل من السرياليين ، والفلاسفة اللغويين ، فان النشاط العقلى بعد ذلك قد فقد تعقيده وعمقه وبدا كأنه عملية بسيطه مختصة بالوحدة ، والاستفادة من الأدوات اليومية على أساس أنها الرموز أو التعبير اللا متأمل لمحتويات الشعور ولم يكن البروفسور إير Ayer ولكن ترستان نزارا هو أول من قال بأن التفكير يخرج من الفم La Pensée se fait dans la bouche فى حين أن نفس الموقف الواحدى Monistic البائس ظهر فى الأدب على أساس أنه استعداد بسيط لتسجيل سلسلة من التغيرات بالنسبة للحقيقة ، أو ظهر ليصبح ممتصا بالتلاعب مع اللغة نفسها .

لقد نما سارتر تحت ظل السريالية وكان هذا محتملا بالنسبة له فى

twitter @baghdad_library

الارتباط بالصراع السريالى الشيوعى ذلك أن سارتر كان أول من اصطدم بمشكلة الدور التحررى للأدب . هل يستطيع الفن أن يتحرر ، بدون أن يكون ملتزما بذاته ؟ هل يستطيع الأدب أن يكون ملتزماً دون أن ينحط إلى مستوى الدعاية ، لقد ورث سارتر كثيراً من المظاهر السريالية . فهو قد شاركها طبعها (البطولى) والاستعراضى ، كما شاركها كراهيتها ، وتهكمها على المجتمع البرجوازى وأخيراً شاركها معاناتها لحرارة التجربة العميقة ، التى وجدت لا لتكون قاسية وشديدة ، ولكن لتكون مكفهرة قوية كاسحة . لقد تأثر سارتر أيضا برومانسية تروتسكى الخاصة كذلك تأثر النستولوجيا من أجل الثورة الدائمة . على أن سارتر سلم بهذه الاتجاهات على درجات مختلفة فسارتر مفكر عقلى ذهنى أكثر منه شاعرا بطبعه ، وكذلك فإن تجربته قد أعطته شكلا سياسيا . إن الحقيقة الثرية ووهم الشعور (المشوش) يبدوان لكاتب الغثيان شيئا مرعبا أكثر منه مشهداً واضحا . إن « الغثيان » تهديداً لإمكانية المعنى والحقيقة ذلك أن المحتويات الأكثر دهشة بالنسبة للوعى تبدو مفسرة على أساس أنها تحويل مشوه لنوايانا العميقة وليست على أساس أنها رموز مستقلة ، وكذلك ليست على أساس أنها بصورة خاصة ، شوارد من منطقة مغلقة ، لقيمة وقوة سامية . إن سارتر لا يحب فى نفس الوقت الذى يخاف فيه عبارة « الغير البركانية ضمن الشخصية » ومن ناحية أخرى ، فإن سارتر قادر على رؤية قيمة سلبية معينة فى قوة السرياليين المدمرة . وفى الأدب المدمر للمعنى . إن الخصوصيات المزيفة يجب أن ترى من قبل الشخص الحقيق الذى يستطيع أن يكون محكا كالأدب الأخلاقى الذى يحطم ذاته ، والأدب الميتافيزيقى

twitter @baghdad_library

الذى يفرض ذاته . « إن الحياة الإنسانية تبدأ على الجانب الآخر من الناس » . إن كلا من المذهب الشكاك الثنائى الفج لمبادىء النقد الأدبى ، واللغة ، وكذلك المحقيقه والمنطق قد علم الفلاسفة شيئاضروريا ، فهؤلاء جميعا استطاعوا بعد ذلك أن يكونوا قادرين على التطور عند اعتبار اللغة على أساس أنها انعكاس ما أو على أساس أنها استغراب ما أو اعتبار اللغة نشاط فى العالم ضمن النشاطات العالمية الأخرى . على أن معنى هذا النشاط هو بالنسبه للتجريبيين الانجليز المحدثين مظهر يومى من جملة الصراعات اليومية المعينة التى استبعدت نهائيا . إن (عالم) « مفهوم العقل» هو عالم يلعب فيه الناس بالمضرب، ويصنعون الكعك ويتخذون قراراتهم البسيطة ، ويقضون وقتهم فى ذكريات الماضى ، ويذهبون إلى سباقات الخيل ، وهذا العالم « عالم مفهوم العقل » ليس عالماً يرتكبون فيه الخطايا ويمارسون فيه الحب ويتلون فيه الصلوات أو ينضمون فيه إلى صفوف الحزب الشيوعى . إن سارتر يريد أيضاً الإيمان باللغة لا على أساس أنها وسيلة لنقل تقرير واقعى ولا على أساس أنها تعبير عن محصلة غير منظمة للانسان الفاقد الوعى . إن الأدب لم يوجد ليكون وفاقاً من خلال اختلاس ما وإنما وجد ليكون نشاطا مندفعا إلى الأمام فى العالم حيث المصالحات الخاصة غير محتملة ، وحيث الصراعات العامة تبدو صراعات حتمية . هل العالم الذى يرى سارتر فيه اللغة على أساس أنها نشاط عام هو عالم المعارك الإيدلوجية حيث أن الأخلاق تكون وظيفة الوعى الذاتى والسياسى والوصايا الدينية فى حين أنها لا تكون العالم الاجتماعى البسيط اللامتأمل المحيط بنا . إن سارتر يريد أن يضع

twitter @baghdad_library

اللغة فى موقف تعمل فيه مع بنية المسائل الكبيرة للعقيدة ، وهذه توجد اللغة لا لتكون محتقرة أو معبودة بل لتكون أداة للاستعمال . إن ملاحظات سارتر هى توصيات من أجل استعمال اللغة استعمالا سليما أكثر من كونها توصيات لتحليل استعمالات اللغة الحقيقية ، ولعل هذا الاتجاه هو الذى ميز سارتر عن الفلاسفة اللغويين الإنجليز . وبعد فإن سارتر يعتبر رأيه تعبيراً لا أهمية له عن الحقيقة الهامة حول الوضع الإنسانى عندما يؤكد بأن اللغة هى وسيط للاتصال بشكل واضح .

إن بطل رواية « الغثيان » يرى اللغة والعالم وكأنهما منفصلين عن بعضهما البعض بصورة لا أمل فيها . « إن الكلمة تظل على شفق : إنها ترفض أن تخرج وتمكث فى الشىء » فاللغة كانت بناءاً عبثيا لما خلف الأصوات والإشارات التى تخلق من ورائها الضجيج المتدفق الغير مميز ، ولعل الغير مميز هو الكلمة التى وجدت لتصنيف الخصب اللامحدود ، والموجود اللامصنف ، الشعار السياسى ، أو الشعار الاجتماعى ، أو الجانب الأخلاقى ، الذى أخفى الكتله الثقيلة الغير مجسمة للوعى الإنسانى والتاريخ الإنسانى . إن تجارب روكنتان فى الشكل الجامع والمتسع هى رؤيا العالم التى تجعل اليائسين من اللغة أو غيرهم يتلاعبون بها أو حتى يحاولون جعلها نظاماً ذا محتوى داخلى وحصنا ضد العبث !

إن روكنتان ليس سارتر ، أنه مظهر لسارتر المراهق . ذلك أن نظرة روكنتان السياسية نظرة سلبية مدمرة . وهو يعلم بأن الكلمات من الممكن أن تخفى ، أو تبرر القسوة والفوضى . إنه يبدو غير مدرك بأن يأس الكلمات أو تطورها المقيد (« الأدب النقى » هو بالضبط

twitter @baghdad_library

« الأدب اللامتصل ») يمكن أن يخلق توازنا ما . فبينما ينظر روكنتان إلى لامعقولية محاولات معينة لايملك إيمانا حقيقيا فى أى خلاص آخر أكثر من الخلاص الذى يتمثل فى الشخص اللطيف الذى يواجهه فى النهاية . إن الموضوع الذى عولج فى « الغثيان » على أنه اكتشاف ميتافيزيق قدأدرك من قبل سارتر فى مكان آخر على أساس أنه مرض من جملة الأمراض السياسية وعلاج من العلاجات السياسية . إن المشكلة هى إيجاد طريق وسط (القوة الثالثة) بين عملية تجريد اللغة ، وهبوط اللغة إلى مستوى اللاشعور ، وبين سوء طوية الأنذال ، والاضطرابات الروحية وبين أيضا قبول المستوى الجماعى (الرأسمالى أو الشيوعى ، والمذهب السينيكى السياسى) . إن سارتر كما سنرى يذهب مذهب روكنتان ويتبنى حلوله . ذلك أن سارتر يريد أن يرتبط بأدب عظيم متكافىء ، كما يريد أن يرتبط بالمعنى والحقيقة والديمقراطية .

twitter @baghdad_library

الإستبطان والعاطفة المتناقضة

قال زولا بأن الروائى « يجب أن يقتل البطل » وطبقاً لقول زولا فإن الروائى يجب أن يقتل البطل . . ذلك أن عمل الروائى هو عرض « أسلوب عادى لمتوسط حياة الأحياء » . وسارتر يؤمن كما يؤمن زولا بقتل « البطل » فى معنى الشكل الرئيسى المتخيل ، الذى يتلذذ بموافقة الكاتب المستثناه لأسباب مختلفة . . تلك الأسباب التى لا ترتبط بموضوع الكاتب ولكنها ترتبط بمنزلة الكاتب .

يقول سارتر « لاداعى لمزيد من الشخصيات ، ذلك أن الأبطال هم أنفسهم حريات تقع فى الشرك مثلما تقع جميعا » ونحن نستطيع أن نعطى معنى بسيطا لهذا الرأى . فسارتر لم يصور لنا النماذج القوية بفضائلها ورذائلها ، بل صور لنا الناس ذوى الشفافية بأشعة غامضه . وهذا لايعنى عرض العالم على أساس أنه عالم عقيم أو فاقد للشعور ، منذ أن كان جزء الصورة مطلباً ضرورياً للمعنى ، ومن ناحية أخرى فإن سارتر ينوى عرض شخصياته بصور أخلاقية منعكسه بشكل أكثر أو أقل

twitter @baghdad_library

فى بنية شاذة حائرة غير معينة ، لكى يركز على نوعيـــة شكهم وعدم إخلاصهم .

ماهو التشكيك الذى يناسب هذا كله ؟

يقول سارتر إن أسلوب المعرفة الذاتية للروائيين المحدثين هو المنولوج الداخلى .. وهذا ماهو قائم بالضبط ذلك أن الروائيين المحدثين لا يروون لنا عادة أحداثاً كما وقعت فى الماضى بل إنهم يروونها فى مضارعها خلال وعى الشخصيات ، وكأن هذه الأحداث قد وقعت الآن . إن القارىء مثقلا بالشخصية الحاضرة ، مثقلا بالإرهاصات التى تملك «انفتاح» الكاتب .. هذا الكاتب الذى يحمل الآلام لكى يجعل القارىء يشعر بها . إن هذا الأسلوب له مظهران : الأول ملاءمته الغريبة للعصر الحاضر (نحن الآن غير متحمسين لأن نعتبر العقول كالأحياء التى تستطيع أن تكون موصوفة من الخارج أو من مسافة بعيدة) والمظهر الثانى هو صعوبتها الغريبة .

وسارتر يستبعد بعضاً من هذه الصعوبات ،عندما يقول فى «الوجود والعدم»، ص ٤١٦ « إن الشخصية لا تملك وجوداً واضحاً ما عدا كونها موضوعاً للمعرفة بالنسبة الآخرين . . والوعى لا يعرف شخصياته ، إلا فى حالة اعتبار نفسها منعكسة من وجهة نظر الآخرين .. ولعل هذا يدفعنا إلى التساؤل عن عدم استطاعة الوصف المتمعن النفى لشخص ما أن يكشف عن الشخصية . فبطل بروست ليس «له» شخصية تستطيع أن تكون مفهومة بشكل مباشر .. وهذا لا يحتاج إلى شىء قدر احتياجه

twitter @baghdad_library

إلى مشكلة التكنيك بالنسبة للروائى : مشكلة كيفية جمع وجهات النظر الخارجية بالنسبة لكل شخصية ، وبهذا يمكننا الحصول على صورة « موضوعية » .

ومع ذلك ، فبينما هناك ناقد آخر ، يوافق سارتر على أن الاستبطان لا يكشف عن الشخصية ، يرى أن هذا هو سبب الاحتفاظ بأسلوب المنولوج الداخلى لكونه حالة تعبير قصير ، ومن ثم اعتبار شعبية الأسلوب دليل على القصور الأبدى .

كتب جورج لوكاس Lukacs فى كتابه (دراسات فى الواقعية الغربية) « ص ٨ » يقول « إن مسبر المحللين النفسانيين المضبوط فى الروح الإنسانية وتحويلهم الوجود الإنسانى إلى جريان غير منظم للأفكار ، يحطم بدون أدنى شك كل احتمال لوجود أدنى للشخصية الإنسانية المتكاملة » ولسنا بحاجة إلى التأكيد بأن هذا أقل من عمل المذهب الحيادى « الموضوعى » الفج . إن لوكاس يرى بأن الأدب فى العالم الغربى محكوم عليه بالتحرك . . ذلك أن الحيادية « الموضوعية » الفجة قائمة بين هذين الاتجاهين : الأول الموضوعية السوداء البيضاء الفقيرة (آبتون سنكلر) والذاتية الجمالية المعزولة (جيمس جويس) . ومن أجل الرغبة ، والقدرة على وضع « تصميمات اجتماعية نهائية » للشخصية ومن أجل وضع الحدث فى الصورة ، فإن الكاتب الغربى كما يقول لوكاس ، قد خلق شخصياته على أساس أنها شخصيات شاحبة ، فارغة أو (إذا كان تكنيكه سيكولوجياً أو ذاتياً) منحرفة ، أو باثولوجية ، وذلك لوضع هذه التهمة فى حدود استعملت فى فصل سابق .

twitter @baghdad_library

إن لوكاس يتحدى الكاتب الغربى الذى فقد بوضوح الطريق إلى المعرفة (منذ طالبته هذه الطريق بأن يلتزم ماركسياً) وذلك عن طريق تصويره للشخصيات فى أسلوب ثابت واحد .. تلك الشخصيات التى هى على غرار شخصيات العالم البسيط « العينى » .. وكذلك عن طريق تصويره عالم العواطف ، البسيطة المتساوية أكثر من تصويره لعالم الوجود ، الفعل الذى يستطيع فقط أن يكون مميزاً ، بوجوده القائم فى بنية متبادلة ، مع المجتمع التى تعيش فيه تلك الشخصيات .

ويعلق لوكاس ، على التكنيك الاستبطانى للروائى الحديث بقوله: إنه دليل واضح ، لإهمال تعقيد ما يتخذه الكاتب ، ليكون طبيعة حقيقية ، للشخصية الإنسانية .

والآن هناك معنى يبدو خاطئاً بشكل واضح ، عند القول بأن الاستبطان لا يمكن أن يبرز الشخصية . إنها حقيقة واضحة ، تلك التى تقول بأن التحليل الذاتى « يحطم » الهيكل الثابت الذى نسميه عادة « بالشخصية » وأن الأنتى والمحلل ، والشاق ، من الممكن أن يسموا بما يكشف عن الشخصية فى حدود الفضائل والرذائل . ومع ذلك ، فإن التحليل « اللانتى » سوف يعطى الشخصية الاسم ، بعد جهد كبير . إن الزجاج الجيد ، غير مرئى ، فى حين أن الزجاج ، الذى هو أدنى مرتبة من الجيد يكون مرئياً .

إننا نستطيع أن نحكم بثقة ، من خلال نوعية التحليل ذاته ، على سوء طوية الراوى « أدولف » فى رواية قسطنطين .. تلك الرواية التى

twitter @baghdad_library

افتتحت بالتحليل الذاتى خلال صوت واحد فقط . فأدولف بالطبع قد صور استبطانياً ، فى صيغة « المتذكر » وليس بشكل مباشر ، وعلى أية حال فإن التحليل الموجود يشبه الحدث الذى « يحدث الآن » . ولكى نرى ، شخصاً قلقاً ، فى عيون الآخرين ، فإن عيون الآخرين يمكن أن تساعدنا فى تقييمه ، ولكننا لسنا بحاجة لهذا ، فى حالة كون الآخرين يملكون لوناً كافياً معطاً للمنولوج من أجل تمكيننا على « وضع » الراوى فى مكان ما . (إن الراوى ، من خلال الشعور اللا منعكس ، يمكن أن يكون بالطبع مساوياً للاكتشاف — كما نلاحظ فى أناكارنينا . فنحن لا نرى فقط الإفراط ولكننا نرى نوعية سرور ليفن Levin لمجرد وجوده فى اجتماع ممتع مرهق ، كذلك نلاحظ بؤس « أنا » من خلال رؤيتها الناس اللا مذنبين وكأنهم قذرين) .

وعلى أية حال ، فإذا استطاع الكاتب أن يقطع المجال الداخلى أيضاً بصورة جميلة ، أو من خلال اتفاق ما ، أومن بعض الأسباب الأخرى ، فإنه يفشل ، فى إعطائنا المـــادة ، التى بها نحكم على المنولوج . وعندها نستطيع أن نتوقف لنقدر حسن الطوية الراوى . ومن الممكن التحول ، ببساطة إلى التمتع ، بذكاء ، وروعة الكاتب . . كما فى هذا العرض نفسه ، فى مراحل مختلفة من التحليل . إننى أعتقد بأن هذا هو موقفنا ، حيث كانت شخصيات فرجينيا وولف شخصيات قلقة . إن الشخصية توجد كسلسلات ، لقليل ، أو كثير من التجارب المميزة ، تلك الشخصية المرتبطه باللحن ، واللون أكثر من ارتباطها ، بأى خيط من الصراع ، أو الغرض المناسب ، ولعل كل من الشخصية ، والكاتب يبدوان مسرورين . وهذه بصورة معينة طريقة ما « لقتل

twitter @baghdad_library

البطل ، ولكنها ليست الطريقة التى يريدها سارتر. فتجارب روكنتان فى « الغثيان » عبارة عن عالم غير كامل ، ولكن روكنتان يشبه مسز دالوى MRS. Dalloway تلك البطلة التى تبدو لا معقولة فى كل شىء ، ذلك أن روكنتان يبدو بائساً حاداً ، إنه يشعر بأنه غير مجبر بأن يكون كذلك. إن «دروب الحرية» قصة رويت كلها من خلال وعى الشخصيات لحظة ، بلحظة .. ولعل أهم ما فيها ، قد كرس للتحليل الذاتى ، بالنسبة للشخصيات الرئيسية . على أن أهم ما فى الرواية ، هو « طلب » المعنى ، وتصميم الشخصيات على إيجاد معنى فى حياتهم .

وبعد فهل نجح سارتر بحق ، بالرغم من استعماله للتكنيك الاستبطانى ، فى خلق شخصيات ليست شاحبة وليست باثولوجيه ؟ لقد أوصى سارتر بالأخلاق المضطربة ، كوصفة للكتابه الجيدة . إننا نرغب فى رؤية كيف أن الإلهام الرأسى للحقيقة (الذى أعتقد أن سارتر يجب أن يعتبر وولف مفتقرة له) يؤثر فى تصويره لشخصياته ، وعلى ماذا يحتوى هذا الإلهام بالضبط ؟

إن ماثيو هو الشخصية التى تراها غالباً فى الرواية ، والتى تهمنا بشكل رئيسى . إننا نعرف مزيداً من المعلومات المزيفة ، عن ماثيو ، من خلال تعليقات « أفش » الجارحة ، ومن خلال إعجاب بوريس ، وكذلك من خلال كراهية دانيال. ومع ذلك ، فإذا عرفنا عن ماثيو نفسه الذى يستغرق حواره صفحات كثيرة ؟ من الواضح أنه حالما يبدأ ماثيو بالتأمل ، فالكل يهرب من المخيم Tout Fout le camp . وفى سيرسس Le sursis عندما يتوقف ماثيو لأول لحظة عند بونت نيف Pount Neuf

twitter @baghdad_library

ويتأمل عمليـــة الانتحار فإن تأملاته تسقط منفصلة فى حالة صعبة ، لا شعورية . « كان يقف وحيداً على الجسر . . وحيداً فى هـذا العالم . ولا أحد هنا يستطيع أن يخبره عن ماذا يفعل . . أنا حر من أجل لا شيء .. وفكر باسترخاء . . » (ص ٢٨٦) إن هـذه التأملات ، هى نموذج لتأملات ماثيو ، وهذه التأمـلات ، فى أزمات حياته ، هى الفراغ ، والإنهاك الذى يصيبـه دائماً . وفى نهاية « سن الرشد L'age de reason » وبعدخصامه مع مارسيل، فانه : «لم يشعر بشيء ، ما عدا غضبه الذى كان بدون سبب . فى حين أن العمل خلفه كان عار ، رقيق ، وغير مدرك أو مفهوم : لقد سرق ماثيو ، وهجر مارسيل عندما كانت حاملا دون أى سبب » (ص ٢٨٨) .

إن تأثير هذا الزيف على المركز ، هو بالطبع تأثير متعمـد ، فان وجود عبارة «حرية الائتلاف» لم يكن اعتباطاً فى عدم اقتناعها بنفسها .

وعندما يبدأ ماثيو قائلا لمارسيل « أنا أحبك » ثم يقول بعد ذلك « أنا لا أحبك » . وعندما يخبر بنيت ، بأن المقاومة لا فائدة منها ، ثم يحمل بندقيته من جديد ، لكى يقاوم فإن هـذا يدفعنا إلى السؤال عن كيف نتصرف ؟ فى الطريق يمكن أن يقـول شخص ما ، إن « حرية الائتلاف » هى « فقط بسبب » فشل ما يشكن Myshkin فى الوصول إلى الباب فى الوقت المحدد ، بعد المنظر الذى بين المرأتين .. ذلك أن ما يشكن يمكث مع ناتاسيا Natasya ولا يتزوج إجليا Aglaia (فى رواية العبيط لدوستويفسكى) . إنهـــا « فقط بسبب » أن فارينكا Varenka يخطأ فى تحديد موضع « عش الغـراب » ذلك الذى يفشل

twitter @baghdad_library

سيرجى ايفانوفتش فى تحقيقه لها (أنا كارنينا) ومع ذلك فإن هذه الحالات الأخيرة تؤثر فينا بشكل مختلف : إن هؤلاء جميعاً يفقدون صورة الاعتباط الكلى ، بسبب ضغط العمل الكامل عليهم .. ذلك العمل الذى قسموه . لا شك أن الخطر يكمن فى التالى : إذا وجدت الشخصية فى حالة من اللمعان والشفافية المفرطة ، فإن الاحسان بالعقم من الممكن أن يطغى على القارىء ، بشكل محكم . ما هى شخصية النموذجية لمائيو ؟ إنها ليست بالطبع الشخصية « المفزوعة » أو الشخصية « التى تفتقر إلى مبررات » ، ومن أجل عمل « ا » أكثر من « ب » .. فإن قشعريره وعى مائيو الذاتى تكون حول المسألة كلها . إننا نستطيع أن نقارن بين أوصاف سارتر لاختيار مايثو ، وبين الوصف فى « دانيال ديروندا » لقرار جويندولن بالزواج من سيث بلاط . إن « عذاب » ، « وسوء طوية » البطلة يتمثل فى خليط التفاصيل الخارجية وفى الوصف الاستبطانى : « صورة الكتاب » السريعة والمجمعة من جديد ، والشعور الدافىء لاحتمال عدم وجود كلمة « نعم » التى تقولها ، وكأنها فى محكمة العدل (١) .

إن حالة جويندولن Gwendolen تدفعنا إلى طريق لم يسير فيه مائيو — ولعل سبب هذا هو المغالاة فى وصف شفافية وعى مائيو .

---

(١) ذلك أن كلمة « نعم » تتفق بالضبط مع « سوء الطوية » التى يحاول سارتر وصفها فى « الوجود والعدم » وذلك بأن ضرب مثل البنت التى تترك يدها ثابتة « ولا تلاحظها » وهى فى قبضة حبيبها (ص ٩٥) . وانظر أيضاً تحليل ف . ر . ليفس لفقرة ديروندا Deronda فى « التقليد الكبير » .

twitter @baghdad_library

يستطيع سارتر أن يجيب الآن ، بأن غرضه كان عرض هذا الموقف بالشكل الذى عرضه .

ولعل وضع سارتر كفيلسوف ، قد أجبره على أن يكون فى موقف حرج وصعب فى حالة كونه روائياً ، وهـذا يبدو واضحاً من خلال تمسكنا ، باهتمامنا ، وبشعورنا تجاه الحقيقة ، بالرغم من جفاف وفراغ تأثير التحليل الدائم . إن شخصيات سارتر فى أحاديثها الذاتية الخاصة تبدو فى خطر فقدان تعلقنا بها ، وذلك إما بسبب كونها تجريدية (ممكن أن يدعى ماثيو شخصية « شاحبة » بالضرورة) ، وإما بسبب شذوذها (دانيال بالذات شخصية باثولوجية) .

إننا هنا لا نستطيع أن نجـد أى جواب واضح ، للسؤال التالى . ما هى القيمة الحقيقية لسارتر نفسه ؟ هل يقود سارتر إلى « الخطورة » بواسطة قوة مغناطيسية « للحقيقة » ؟ .. دعنا الآن نلاحظ عـلاقات شخصيات سارتر ، بعضها ببعض .

إن درس « الوجود والعدم » يجب أن يبرز العلاقات الشخصية على إنها صراع . وعلى أية حال فإن التوازن غير الثابت مدعم غالباً بسوء الطوية . فى حين أننا لا نجد شيئاً فى الرواية التى تخالف هذا الرأى بصراحة . أن العلاقة التى صورها لنا سارتر فى « دروب الحرية » ليست فقط علاقة مبتورة لا أمل فيها ، فى جميـع الحالات (علاقة ماثيو وافش) ماثيو وأوديت ، ماثيو ودانيال ، ماثيو وبروفيـــه ؛ ماثيو ومارسيل ، كوفير وسارة ، وأخيراً بوريس ولولا) وهذا فى حد ذاته لا يبعث على التساؤل . إن هذه العلاقة ، موجودة ، بالضرورة ، فى صورة

twitter @baghdad_library

عدم اكتراث سارتر لجفاف العاطفة ، ذلك أننا نشعر غالباً بنفوذ وأمانة سارتر . وبعد ماذا يستحق سارتر من تعليق ؟ هل سارتر مقتنع بجفاف العاطفة فى الطريق الذى تقترحه . . إن اهتمام سارتر نجده فى كل مكان . فسارتر ينظر عبر العلاقة دائماً وما يقيمه سارتر لا يعنى ما يكنه ، ولكنه يكون شيئاً آخراً .

إن المرء يشعر بهذا الشذوذ الممكن فى معاملة مارسيل ، تلك المرأة التى عوملت بقسوة لا من قبل ماثيو ، فحسب ، بل من قبل سارتر أيضاً . ذلك أن سارتر لم يكن مهتما إلى درجة كبيرة ، وبصورة حقيقية بمارسيل ما عدا اهتمامه بوجهة النظر التكنيكية ، لتأثير مارسيل على ماثيو . كذلك فإننا نشعر بنفس الصورة القاسية ، فى ملاحظتنا لعلاقة بوريس بلولا . إننا لم ننفعل أمام موقف لولا فى حين أننا ننفعل لموقف مشابه من قبل « ايليانور Ellénore » فى « أدولف Adolphe » ولعل مرد هذا إلى أن سارتر لم يعتن كثيراً بلولا ، ذلك أنه يقبل هذا الوضع . وهذه النقطة ليست النقطة التى يمارس بها سارتر عمله باهتمام .

إن حب الآخرين المغناطيسى والتراجيدى والغير مدرك غير موجود ، ولا حتى كراهية الآخرين تعرض لنا بشكل مرعب محسوس ، مع القوة التى يستطيع المرء أن يتوقعها من كاتب « الوجود والعدم » . ولعل هذا أيضاً لم يظهر خارج « الوجود والعدم » . وإذا كنا متأثرين ، ومنفعلين ، فيجب أن يكون هناك تحقيق محسوس لما يدعوه جورج ايليوت « المركز المعادل للنفس ، من نقطة سقوط الظلال ، بشكل مختلف » وهذا ما أقترحه أنا أيضاً . فى حين أن سارتر ، لا يعطينا إياه فى رواياته .

twitter @baghdad_library

إن الترابط القائم بين شخصيات سارتر ، ترابطاً مفككاً إذا ماقارناه لأول وهلة ، بالمضمون البهيج والمرعب لكل من : أنا كارنينا وفرونسكى Vronsky — أو فى العلاقة القائمة بين دورثى وكازوبون فى « Middlemarch » .. تلك الدراسة الذكية للوجود من أجل الآخرين. وفى مكان واحد فقط نشعر أن سارتر قد دخل فى الصراع الذى يصوره بشكل عميق . ومن ثم كان عميقاً فى تصويره لصداقة برونيه وشنيدر ، وهنا فقط ومع اللحظة الفورية الشديدة العاطفية يكون وميض «الحقيقى» الفورى « أنا — أنت » . ومن الممكن للمرء أن يشك فى أن العاطفة السياسية قد جفت ، وأنها مرتبطة فى الغالب فى الحب والكراهية الفاشلة للحزب الشيوعى .. كما أن هذه العاطفة وراء العلاقة الشبه جنسية بين برونيه وشنيدر . وعلى أية حال فهذه العاطفة ما هى إلا وميض خاطف فورى Momentry . وبعد فماذا تترك هذه العاطفة ؟ هل تترك المعنى فى حدود الأمور الذهنية التى أرستها « دروب الحرية » .

لقد شجع سارتر جدية الأخلاق بالنسبه للكاتب ، وهو يريد الإقرار بأن تأكيد وتناسق الرواية مظهران تقررهما قيم الكاتب الحقيقية .

لقد لاحظنا بأن سارتر لايصل بالقيمة إلى حدود التأملات الذهنية وحدها ، وكذلك لا يبدو أنه يصل بهـا إلى الجهود الفاشلة للوجود الانسانى، من أجل تفهم الشخصيات بعضها البعض . وهكذا تبقى القيمة ممكنة .. ذلك أن القيمة قائمة فى « العلاقات الاجتماعية » ، وكذلك فى المجال السياسى . وهنا نستطيع أن نصل إلى النقطة الهامة ، وهى بصورة خاصة واضحة ، ذلك أن الموضوع الرئيسى لرواية « دروب الحرية »

twitter @baghdad_library

هو الشيوعية . والآن كيف عولج هذا الموضوع ؟ إنه يتمثل لنا فى المظهر الأول لبرونيه . ذلك المظهر الذى يعتبر نقداً كبيراً جداً . إننا مطالبين باحترام برونيه ، ولكننا لسنا مطالبين باحترام أفكاره ، كذلك فليس هناك أى شخصية سياسية أخرى (كوميه بالذات) نستطيع أن نعتبرها وكأنها فى الطريق إلى الخلاص . إذما الذى يعتبره سارتر جديراً بالقيمة ، وما هى « الحقيقة » الذى يثيره سارتر ؟ ومن الذى سوف يعطينا المفتاح إلى « دروب الحرية » ؟

twitter @baghdad_library

القيمة والرغبة في الألوهية

إن الإجابة بالطبع قد أعطيت في العنوان . ما هو الجدير بالقيمة ؟ هل هي الحرية ؟ ولكننا قبل ذلك نستطيع أن نرى بالضبط ، ما هي هذه الوسائل ، التي يجب أن نقيم بها فلسفة سارتر . إن سارتر فيلسوف ديكارتي تقليدي في تحليله «للوعي» .. ذلك التحليل الذي يعتبر نقطة رئيسية في فلسفته ، وقد ظهر هذا التحليل في « الوجود والعدم » كما ظهر في روايته « الغثيان ». وسارتر ديكارتي أيضاً في إصراره على « تعالية الكوجيتو » ذلك أنه يعتمد بشكل واضح على خلاص الوعي المباشر ، حيث لا يستطيع هذا الوعي أن يكون أكثر مما يظهر . ولكن سارتر ليس ديكارتياً في ذلك الذي لا يريده : ذلك الإيمان بالوعي على أساس أنه منهج مختص بالوحدة الذهنية ، أو المعرفة التي ميزت ، بشكل جذري عن النشاط الطبيعي . ومن ناحيـــة أخرى فإن سارتر لم يكن مستعداً لأن يذهب مذهب التجريبيين الانجليز بصورة خاصة في الاتجاه نحو تحقيق شخصية الذهن ، أو الذكاء ، مع ملازمة هذا الاتجاه المنظور (الجدير بالملاحظة) .

وسارتر مرتبط بالصفة الحقيقية المنوعة لمعرفتنا الأشياء ، والناس ،

twitter @baghdad_library

أكثر من ارتباطه بالسؤال عن الكيف . وبالرغم من هذه التنويعات، فنحن نشير إلى معنى متصل معين ذلك أن سارتر مرتبط بدراسة ظاهرة المعرفة ؛ وليس بتخطيط المفاهيم . إن سارتر يصور الوعى بوسيلتين متناقضتين : الأولى بين الوميض الفورى غير الثابت ، و« وجود » الوعى الشبه شفاف من لحظـــة إلى أخرى ، والطريق المتنقل التى فيها تدرك الموضوعات وتدرك نفسها ، وبين صلابة وغموض وباطنية « فى ذات أنفسهم » الأشياء التى هى ببساطة ما كانت . إن الوعى على أية حال ليس ثابتاً فى حالة شفافة ، أو فى معرفة ذاتية فارغة (فنحن لا نتأمل دائماً) وبطبيعة الحال فإننا ملزمين بفهم العالم ، بطريقة غير متأملة ، كالحقيقة التى تتلون بعواطفنا ، ونوايانا . إننا نستطيع أن نعرف أنفسنا بشكل متعاقب ، ليس على أساس شفافية نظرتنا المتأملة ، ولكن على أساس مؤكد ومدقق من قبل الآخرين . وفى هذه الطرق ، يتجه الوعى من حاله كونه فوق المعرفة الذاتية ، إلى حالة كونه معتما ، أكثر من اللازم . ومنذ كان الوعى ليس شيئاً فإن المدهش ، والممتع يبقى هو المعرفة الذاتية الخاصة ، أو يبقى مرناً يميل نحو الظهور والاختفاء بطريقة فورية . . ومنذ كان الوعى كذلك فإنه من المناسب بشكل أكثر تصويره وكأنه مادة غروية تستطيع أن تصبح أكثر أو أقل صلابة ، تلك التى تبقى على طبيعتها الداخلية الثقيلة ، اللزجة ، حتى فى اللحظات التأملية (إن الاستبطان ليس تركيز الأشعة على شىء محدد). فالحالة «الغروية» بالنسبة لسارتر هى صورة الوعى، ذلك أنها تدهشنا لكونها كذلك . كما أن هذه الحالة « الغروية Le visqueux » فى حدود الجمود أو إكمال

twitter @baghdad_library

النسيج ، ذلك أن سارتر يصور الكراهية أو سوء الطوية Mauvaise foi على أنها رفض واعى ، بطريقة كبيرة ، أو صغيرة ، للتأمل ، وإنها الإغراق فى معرفة ملونة عن العالم ، بصورة غير متأملة ، كما أنها الإصرار على حكم عاطفى ، وأخيراً إنها الإرادة لتقدير شخص ما . إن صورة الوعى هى فى حدود تحلل هذا الجمود الغروى الذى صوره سارتر على أنه الحرية ، ذلك إن « الحرية » هى قابلية التحرك للوعى الذى تعكسه قدرتنا ، هذه القدرة التى تحد من الحالة العاطفية ، والتى تبتعد عن الامتصاص فى العالم ، من أجل وضع الأشياء فى مسافات متباعدة .

إن التناقض الآخر الذى يستعمله سارتر هو ذلك الذى بين الوعى الفورى غير المستمر ، والغير ثابت (نحن مكتئبون ، ينقصنا التركيز ، والعمق و « الخصب » لإدراك مايحيط بنا من متناقضات . . ذلك إننا لانبقى على الموضوع ، بشكل قوى لمدة طويلة فى وعينا ، سواء كان هذا الموضوع ، مشرقاً ، أم عميقاً) وبين حالة الكمال ، والرسوخ ، والإنجاز ، نحو الذى نستلهمه . إن عبارة الوعى هذه ، تشبه الفراغ الموازن بين حاصلين . . فنحن التقينا بالطبع ، فى « الغثيان » حالما كان روكنتان « منظوراً من خلال » المقولات القصيرة للكلمات ، ومن خلال الصفوف والمظاهر الاجتماعية .

فقد كان روكنتان يشعر بأنه نفسه قد غرق فى « غراء » « التشىء » اللاسمى . . وبدت أفكاره بدون شكل وكأنها بقية شىء ما ؛ ومع ذلك فهو يطمح إلى حيز الدوائر والأنغام . ذلك الطموح الذى يصفه سارتر فى « الوجود والعدم » فى هذه الحالات ، عندما يتكلم عن الألم . .

twitter @baghdad_library

(نحن نتألم . . ونحن نتألم من ألم غير كاف ، وهذا الألم الذى «نتكلم» عنه ليس هو نفسه الذى نشعر به . بماذا ندعو «الحقيق» ، أو «الصادق» أو «النظيف» ، المتألم؟ ذلك أن الألم الذى يحرك عواطفنا ، هو ما نقرأه فى وجوه الآخرين ، أو بالأحرى هو الذى يظل فى الصور الزيتية ، أو فى وجه التمثال ، أو فى القناع التراجيدى . . ذلك هو الألم الموجود) . « ص ١٣٥ » .

« إن شفافية ألمنا تبدو وكأن عمقها قد تلاشى . إنه الألم الذى نملك أن «نجعله» وكذلك نشعر به ليكون شيئاً كالخزى (إنها — الشفافية — تتكلم بصورة دائمة لا لأنها غير مقنعة ولكن لأن مثاليتها هى الصمت . صمت التمثال للرجل المضروب الذى يحنى رأسه ويغطى وجهه دون أن ينبس بكلمة) « ص ١٣٦ » إننا نريد أن تكون تجربتنا ممتلئة ثابتة ، كاملة ، دون أن تفقد معرفة ذاتها الشفافة ، ذلك إن عدم وجود قابلية الحركة المعبرة للتمثال ، حركة النغم غير الموقوتة ، صور لهذا الثبات .

إن الوعى تفتق، كما أنه قادر على أن يقفز خارج الحالات اللامتأملة، ولكنه فى نفس الوقت مشروع ، يطمح للكمال .

يذهب سارتر إذن (فى الفقرات التى تتبع ذلك المقتطف السابق) إلى مدى بعيد غير متوقع ليقول : نحن الآن قادرين على تحديد — بشكل أكثر وبصورة محكمة — معرفة كون الذات . هل هذه المعرفة هى القيمة La Valeur . إن القيمة شىء ما ، ولكنها ليست بعض الشىء .

إن القيمة لها شخصية مزدوجة ، للوجود ، غير المشروط ، ومن ثم للاوجود. والقيمة لم توجد ، لتكون تحقيقاً ذاتياً ، مع أى صفة حقيقية

twitter @baghdad_library

فعلية ، أو مع تعيين مسائل ما . فإذا كانت كذلك فإن « توافق الوجود يقتل للقيمة » إن هناك شبيه لمثل هذه الحالة . قارن مثلا إصرار مور G. E. Moore على أن القيمة ، « غير طبيعية » ، وقول وتجنشتن بأن « القيمة يجب ، أن تقوم خارج جميع مايحدث ، ومايوجد . وبالنسبة لجميع مايحدث ، ويوجد فانه يكون قد جاء مصادفة » ، (تراكتيوس ص ٤١) .

والآن ماهى الصعوبة فى فهم هذا ؟ هل كون سارتر يبدو ليكون محققا لذات القيمة ، مع ذلك الكلى الراسخ المعاش لهذا الوعى العدمى . « إن القيمة السامية نحو ذلك الوعى ـ بواسطة طبيعتة ـ هى قيمة غيبية ، بصورة ثابتة فى ذاتها ، إنها وجود مطلق للذات ، مع صفاتها الذاتية ، النقية ، الخالدة » ، ص ١٣٧ » .

إن معنى هذا يبدو ليكون مقيما لشىء موجود ، وباحثاً خلاله ، لتحقيق ثبات معين ، لوجود شخص ما . إن الانهماك فى الأشياء التى جاءت مصادفة ، لايستطيع أن يقوم بهذا الثبات ، كما أنه لايستطيع أن يكون موجوداً ، فى الانتقالات التى تحدث من قبل الوعى الذاتى ، المنعكس . إن ذلك الذى كان مقيما ، هو (الوجود فى ذاته être -en-Soi) الذى يلتحم مع شفافية الوعى (الوجود لذاته être-pour-Soi) إنه حالة النورانية الكاملة ، والخلود الكامل . غير أن هذا الوجود غير مدرك ، بصورة جيدة .

إن الذات التى استبعدت لامعقولية المادة المعتمة فى جانب واحد ، تسقط بشكل يسيط فى كلية مغناطيسية فى الجانب الآخر . تلك التى هى غير

twitter @baghdad_library

مدركة لأنها متناقضة فى ذاتها . وبالمثل كون الوجود ، فى ذاته ولذاته.(١) والآن هل حالة وجود الله، هى حالة إنسانية، غير ممكنة أن معنى القيمة بعد ذلك هو معنى النقص ، نقص كمال معين ، والوعى المتأمل ، الذى يبرز لنا هذا النقص قد سمى بحق الوعى الأخلاقى .

يقول سارتر فى « الوجود والعدم » (صفحة ٦٥٣) « إن الإنسان هو الوجود ، الذى يطمح فى أن يكون إلهاً » . وفى نهاية «الوجود والعدم» يركز سارتر ، بطريقة بلاغية على هذا الموضوع . إن عاطفة الإنسان ضد رغبة المسيح. ولقد فقد الإنسان ذاته ، كإنسان من أجل أن يولد الله . ذلك أن الإنسان يطمح ، بالطبع ، فى الابتعاد ، عن الحالات الناقصة ، مقترباً من الكمال الواعى . ولكن منذ أن كانت فكرة الله متناقضة . كان الضياع عبثاً الإنسان عاطفة غير مجدية .

L'homme est une passion inutile

ولكى نفهم هذا علينا أن نخلص أنفسنا ، من سوء طوية الروح ، الشريرة . وإذا كنا نتصور ، بأن « القيم » هو خاصية العالم ، أو بأن أعمالنا قد كتبت فى السماء فقد حكم علينا ، بالسقوط ، واليأس . ومن وجهة النظر هذه ، فإن المسألة كما هى سواء شربنا بأنفسنا أو شربنا بمساعدة الآخرين .

Revien — il au méme de s'enivrer Solitaire ment ou de conduire les peuples.

(الوجود والعدم صفحة ٧٢١). وإذا كان جميع النشاط الانسانى ،

---

(١) « الوجود والعدم » ص ٦٥٣

twitter @baghdad_library

بشكل بسيط شكلا لمحاولة، غير مثمرة ليكون نفس الشيء ، فإن مواده التي تشكل ما نتبناه ، تكون صغيرة جداً فيما بعد . وعلى أية حال فإن سارتر يتردد فى إنهاء كتابه ، الواضح ، بهذه النقطة ، التى هى نقطة عدم المبالاة ، بالخطر . لقد وصف لنا سارتر ، كيف نحرر أنفسنا ، من البـــلاده ، ونطمح من خلال وسط نشاطنا الإنسانى، المتعدد ، نحو وضع ، أمين لتحقيق ذاتى ، نقى ، حتمى . . ذلك أن الفشل ، والتراجع ، إلى حالة الغرور الذاتى ، يخفى وجودنا الضرورى ، بواسطة التحقيق ، الذاتى، اللامتأمل ، للشيء العقيم ، مع الشيء الذى وجد صدفة . ولكن ماهو خطأنا إذا نحن أدركنا ؟ وماهى وظيفة الحركة ، أو غاية وعينا إذا نحن أدركنا هذه القيمة ؟ وماهو نفس النموذج ، للجهد المحيط ، إذا نتبعناه فى كل مكان كما يفعل سارتر ؟ هل محكوم على الإنسان ، نفس هذا البحث اللامثمر ؟ حتى فى إدراكه بعمق القيمة . هل الاكتشاف هو النشاط ، والنشاط هو المحاولة اليائسة ، لكى يكون الله فى ذاته شكلا ، من هذا النشاط ؟ أو هل تستطيع الحرية بشفافيتها ، أن تضع نهاية ، « لعصر القيمة » ؟ هل تستطيع المعرفة ، الذاتية ، للوعى الواضح ، أن تتخذ من نفسها قيمة ، أو هل يجب على «المقيم» أن يكون دائما غيبياً ، بما يقيم ؟ إن سارتر يقول ، بأن هذه الأسئلة الهامة ، سوف يجيب عليها فى كتابه القادم « الأخلاق» الذى لم يظهر بعد . على أن سارتر — كما سنرى — يعطينا جواباً لسؤاله ، الخاص، فى تحقيقاته السياسية والأدبية،

twitter @baghdad_library

النظرية الميتافيزيقية والممارسة السياسية

لقد وضح من «الوجود والعدم» ما يعنى به سارتر بالنسبة «للحرية». إنها المتأمل ، المتخيل ، قوة العقل ، قابليتها للحركة ، سلبيتها المعطاة ، قدرتها على النهوض من الأوضاع ، الموصلة ، الغير متأملة ، وميلها للرجوع ، إلى معرفة ذاتها . لا داعى للقول ، من خلال هذا المعنى بأن أحجار المنزل لاتبنى سجناً . إننا أحرار ، بصورة ممكنة ، وبقدر مانحن واعين . إن الحرية ، تبدو أيضاً ، ما يعنى به سارتر ، حين يتحدث عن « القيمة » .. إن الحرية كانت عبارة الكمال ، التى تحمى الوعى الحر ، والتى يتجه إليها الطامح عبثاً . إن الطموح ، بالطبع يجب أن يأخذ شكل المشروع ، الإنسانى ، الغريب (اشرب بنفسك ، أو بمساعدة الآخرين) .. ما ذا يريد سارتر أن يحلل لنا ؟ .. هل يريد تحليل بناء كل الوعى ، الإنسانى ، والجهد الإنسانى . إنه من الممكن ، وبصورة مناسبة جداً ، اتخاذ شكل الخلق ، أو متعة العمل الفنى .

إن وعى الفكر المتأمل « كالتخيل » ، يظل جارياً من خطر

twitter @baghdad_library

السقوط ، إلى سوء الطوية ، إنه ضياع قابليته للحركة ، وانحطاطه إلى حالة ، غير متأملة ، بصورة « غروية » . والخيال يمكن أن يكون مرئياً «كالكسر : مع العالم، المعطى ، الذى يستمر بعد ذلك، فى الحالة التخيلية والتى تملك قليلا ، أو كثيراً ، من القصور الذاتى : هذا القصور الذاتى، الذى يمكن أن يقود إلى مزيد من خطأ Empatement وسقوط الوعى فى وضع ، غير متأمل . وهذه الحركة يمكن أن تناسب بشكل تخمينى التغير ، من زمن العقل الخلاق ، المتخيل ، إلى أحلام النهار ، الغامضة إن سارتر يصف الخيـــال ، على أنه شىء يأتى بصورة تلقائية . Spantanéité envoutée ذلك لأن المتعة الجمالية تبدو بعد ذلك ، مستعدة للارتباط مع كلاهما : المتحرك ، أو المظهر « الحر » للوعى ، والطموح الجامح ، نحو «القيم». كتب سارتر فى كتابه « ما هو الأدب؟» (صفحة ٤١) يقول ، بأن هدف الفن « هو استرداد هذا العالم باتخاذه ليكون منظوراً كما هو ، ولكن فى حالة كون منبعه الحرية الإنسانية» . إن عمل الفن ، يعتمد على القارىء ، أو المتفرج ، من أجل وجوده ، وهذا ما يفعله ، بالضبط .

إن الفن استئناف ، طلب . إن القارىء يجب أن يكون أيضاً خالقاً ، للرواية . فالأهمية كامنة فى قراءة القارىء الرواية ، بشكل دقيق، ثم « تسليفها » عواطفه ، وشموله فى عمل عقائدى مدعم فى العمل نفسه. والخيال يجب أن يكون ساحراً ، ولكنى أعتقد، بأن سارتر يجب أن يوافق ، على أن لا يكون ، ساحراً أيضاً . إن الانفصال المفرط ، أو الشك سوف يسقط ، ليخلق العمل كـكل . فالنسيان الذاتى ،المفرط ،

twitter @baghdad_library

سوف يحطم موضوعيته المحورية ، ويخرطها مع ، الخيال ، والحلم الخاص. وفى الحالة الأخيرة تصبح قراءة الرواية ثمالة (إنها ميزة أدب السينما لتشجيعها بشكلها الكثير ، هذا النسيان الذاتى الشديد) إن اغتباطنا فى العمل الفنى ، هو شعورنا ، بالنشاط الخيالى المشمول ، فى خلق العمل الفنى ، والمذكور فى العمل الفنى كما هو ، بالضبط ، وعلى مسافة متساوية ، من أنفسنا . والرواية فى هذا المعنى « عمل وضع ، من أجل الحرية » . ورؤية العالم على أنه متأصل ، فى الحرية الإنسانية ، لا يعنى بالطبع أية تعفن للحرية ولذلك فنحن نظل نراها « كما هى » ، ولكن فى حالة « ضرورة» رؤيا الفنان الشكلية ، وفى حالة رؤيانا ، وعندما نرى بعينى الفنان ، فإننا نحصل على قوة إلهية ، للحدس الذهنى .

إن المتعة الجمالية ، تحوى « صورة وعى العالم المرسومة ، فى كليتها كوجود شىء يملك فى أن يكون »(١) ، وهكذا ، وبصورة أبعد نقول ماذا يريد سارتر ؟ هل يبدو ما يريد أن يقوله ، إعادة تقدير فى علم مصطلحاته الخاصة ، بالنسبة لقطعة تقليدية من علم جمال ما بعد الكانتيه.

إن المتعة الجمالية ، معرفة ، متأملة فعلية ، تبحث لتدرك .. فى حين أن المتعة المادية ، أوجدت لها بعض الحاصل ، المستقل ، للتجربة ، فى الذى يتصل بالكمال ، بصورة ، داخلية ، ذلك أنها من الممكن أن تحقق الموازنة الكاملة . إن هذه الحركة التى هى كذلك ، تتبع بوضوح الشكل

---

(١) ما هو الأدب ؟ (صفحة ٤٣)

twitter @baghdad_library

الذى تبناه سارتر ، لجميع الصراع الإنسانى ، ولاتستطيع على أية حال (إذا كنا واثقين بالوجود والعدم) أن تدخر وسعاً. لقد كتب سارتر فى « المتخيل L'imaginaire » (صفحة ٢٥٤) يقول « إن الحقيق ، ليس الجميل مطلقاً » ، « والجمال هو القيمة التى تستطيع أن تطبق فقط على المتخيل ، وعلى الذى يملك البنـــاء الضرورى الشامل ، لعدم Néantisation العالم ، وهذا هو السبب فى كونه غبياً عند رفض الجمال ، والأخلاق . إن قيم الخير قد سبقت ، وأرست الوجود فى العالم، إنها مرتبطة ، بالسلوك داخل البنية الحقيقية، وبموضوعاتها من البداية ، إلى اللا معقولية الضرورية للوجود» . فى « ما هو الأدب ؟ » يرتبط سارتر بإحكام ، بالسلوك داخل البنية الحقيقية . إن سارتر يربط قيمة الأدب النثرى ، مع وظيفته الرئيسية ، ومع إبرازه ليستنتج هذا الإبراز من النظرة الميتافيزيقية ، لخطوط الشعور الرئيسية .

ومنذ كان الوصف أو التسمية ، هو الاكتشاف ، فإن الكاتب لا يستطيع مطلقا ، أن يكون مراقبا طبيعيا . هل هناك بطبيعة الحال شىء فى طبيعة تسميته سارتر التى تدل على كيفية وصفه للعالم ؟ إن سارتر يعتقد ، بأنها هناك . فمنذ كانت الرواية ، استئنافاً للحرية ، ومنذ سبقت، ففرضت ، كالقارىء ، إنسانا ، حراً ، فيجب أن يكون هناك نوعا من التناقض ، المتمثل فى استعمال الرواية ، من أجل مساندة الاستعباد . « إن الكاتب إنسان حر ، ويتبنى الأحرار ، ويملك موضوعا واحداً ، هو الحرية » .

إن الروائى الجيد إذن ، هو المرء الذى لايخدع عمله ، والذى تحول

twitter @baghdad_library

عواطفه إلى عواطف حرة . إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، ولكنه عن طريق النظام تعلم أهمية وقيمة الحرية . فالحرية بالنسبة للكاتب هى «عرض العالم لكشفه من خلال تغييرات منظورة محتملة» . إن القارىء الروائى هو إجابة لطلب الكاتب « يعرى نفسه فى بعض أساليب شخصيته التجريبية ، ويهرب من أحزانه ، من مخاوفه ، من نواياه القذرة ، من أجل أن يضع نفسه فى أعلى مراتب حريته . هذه الحرية التى تأخذ العمل الأدبى ، ومن خلاله البشرية ، من أجل غايات مطلقة » (صفحة ٢٠٠) وفى هذه الطريق يضم القارىء نفسه إلى حيز الغاية حيث أن كل رغبات جميع أتباعه من القراء موحدة . والقارىء فى إجابته للكاتب يكون متمرسا بنقاوة غريبة ، وبنوع من الاحترام للسرحية الحرة التى تصور الشخصية الإنسانية . إن القارىء يملك القدرة على الإجابة ، بإيثار على رؤيا الكاتب ، التى هى مهما بعدت رؤيا « حرة » لاتخضع لفانتازيا أو عاطفة خاصة ، وكلاهما ينشأ فناً جيداً ويخضع الأخلاق المطلقة . وهذا الاحترام للحرية وهذا الفهم للجنس البشرى ، لا يستطيعان على أساس أنهما غاية مطلقة ، أن يبقيان حيث الحدود المطلوبة ، من أجل تقييم العمل الأدبى . فإذا اشتعلت هذه النار مرة ، فإنها سوف تمتد . ذلك أن الارادة العظيمة تريد أن تكون مؤرخة . فالذى تكون رغباته ، فى دائرة الغايات ، فإنه لن يكون بعيداً عن إرادة رفض انغلاقة المجتمع .

إن كل من الكاتب ، والقارىء لا يستطيع أن يتمتع ومن ثم أن يرضى بصورة دائمة ، بالنشاط الخلاق الحر ، لعمل وتقييم الأدب .

twitter @baghdad_library

ذلك أن هذا سوف يأخذ مكاناً فى المجتمع الذى هو فى جانب ما ، محكوم بعاطفة هوجاء ، و بتحيز أعمى ، وفى الجانب الآخر بمضايقات مقيتة للروح. إن الحرية جزء حتمى من عمل الروائى، ليس فقط من أجل تمثيل هذه الحرية الخلاقة ، فى أدبه (منذ لم يستطع تجنب التعليق على المجتمع بطبيعة عمله) ولكن ليدافع عن مجتمع الوجود الحر . وهذا ماسيفعله الروائى فى الواقع ، مع قليل أو كثير من الوعى الذاتى ، إذا كتب بصورة جيدة . إن جزءاً من مادته الأدبية تتوقف جودتها على علاقاته الشخصية .. بينما يكون الجزء الآخر ببساطة ، مهتماً بجانبه المادى الأفضل . إن الروائى سوف يعرف الرابطين .. رابط التحرر النقى لمتعة الروح ، ورابط حماية وترقية ميول المجتمع المعينة [١] . إن الرواية تعلق على المجتمع ، الذى يكون ضمن الحقيقة الكاملة، و إنه لمن السهل أن نرى لماذا كان كل من أدب النثر بصورة عامة ، والرواية بصورة خاصه ، قابلين «للالتزام» وتصوير «الحرية ، التى صورت من قبل كل الفنون ، فى شكل توصية اجتماعية ، سلبية . إن هذا هو مايبدو مثيراً بشكل خاص بعد مقدمه سارتر فى « الوجود والعدم » . لقد كانت « القيمه » هى ما عنى بها سارتر حين تحدث عن الطموح اللا مجدى ، نحو حالة من التوازن الشخصى ، التى يمكن أن يكون الفن شكلا من أشكالها ، فى حين أن حالة السكر أو الثمل تكون شكلا آخراً .

ومن وجهة نظر « الوجود والعدم » فإن الأدب (سواء كان

---

(١) ما هو الأدب ؟ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

twitter @baghdad_library

جيداً ، أم رديئاً) من الممكن أن يعطى شكل الطموح . فنحن نرى روكنتان فى « الغثيان » يشعر ، بالكمال ، فى حالة اشتياقه له ، من خلال القطع الموسيقية المتقاربة . وفى « ما هو الأدب ؟ » هناك تمييز ظاهر ، ذلك أن الكاتب الذى طهر نفسه ، من النوايا الشخصية الضيقة السيئة ، ومن الفانتازيا « والذى يحول عواطفه إلى عواطف حرة » هو كاتب متفرد ، وكأنه حقق تلك القيمة ، التى تعزى إلى المرء الذى تجنب كل هذا إن هذا التطهير يعتبر من قبل سارتر ، وجوداً يضفى على الروح الإنسانية طهراً ، وعلى الأخلاق قيمة ، ويكون منتجاً لفن جيد . إن كل من القيمة الأخلاقية ، والجمالية ، فى هذه المسألة ، تبدو لتكون « قيم » فى حالة أكثر ارتباطاً بالنسبة للمعنى العادى ، الذى تكون الكلمة فيه أكثر استعمالا ، كما يظهر فى « الوجود والعدم » . وأما « الحرية » ، التى ظل سارتر يتحدث عنها ، كسورة élan ميزة الوعى ، فهى تقود بشكل عقيم — إلى وقت قصير — نحو الصلابة التى يمكن أن تظهر أى شىء ، لكى يكون راضيا . على أن النشاط المنتظم الخاص ، هو الذى يتناقض ، مع الآخرين ، الأقل قيمة .

إن الإشارة إلى التغيير الذى حدث ، قد أعطيت من قبل استعمال سارتر لحاله « مملكة الغايات » . إن « الوجود والعدم » وجد ليكون عملا من الأعمال الموصوفة . وإن « علم الوجود الفينومينولوجى » كان ما قاله سارتر وليس « الميتافيزيقية » التى أنكرها سارتر بشدة ، ذلك أن سارتر قد قدم نظريته ، فى الميتافيزيقيا بالنسبة للطبيعة الإنسانية فى كتابه « الوجود والعدم » . إن الجهد الإنسانى القانع ، من وجهة

twitter @baghdad_library

نظر ، « الوجود والعدم» كان جهدا شخصيا جاء بالصدفة. وإن النموذج الموجود كان شكل ، وبناء ذلك الجهد ، وكذلك فإن هذا النموذج قد ذهب خلف « حقائق » السلوك الإنسانى فى طريق مقارنة لتلك الطريق التى سلكتها الميثولوجيا الفرويدية . إن مفاهيم الوجود فى ذاته، والوجود من أجل الآخرين، وكذلك المفاهيم الباقية، من الممكن أن تكون فكراً تلعب نفس الدور التوضيحى المزيف ، الذى لعبته « الأنا » الفرويدية والمساوية لها فى الإشراق ، وفى خطر تضليل كتابها إذا لم يكونوا واعين بدرجة كبيرة . إننا نعلم ، بأن سارتر قد استعمل عبارة «مملكة الغايات المتناسقة » حيث كانت الإرادة الإنسانية موحدة . ذلك أن الغايات الإنسانية ، متناسقة فى الحقيقة ، وهى فى نفس الوقت ، ظاهرة تجريبية مزيفة كما أن هذه العبارة لا تملك دوراً وصفياً . إن وجودها كفكرة منظمة قد استعمل من قبل سارتر ، بوضوح و بصورة مشابهة لكانت . وسارتر يقول ، بأنه لو جعلنا ممارسة حريتنا اللائقة ، والتى سوف تشمل جنسنا البشرى ، على أساس أنها غاية مطلقة، فإننا سوف نميل إلى التناسق فى الإرادة . إن كتاب « الوجودية مذهب إنسانى » يعرض نفس العبارة بشكل موضوعى تقدمى بل إن هذه العبارة البسيطة الشجاعة قد استعملت كسلاح سياسى حاد . وفى هذا الكتاب يكتب سارتر رأيه فى شكل درامى جدلى فى « لاوجود » القيمة المتقدمة للعمل .

ليس هناك ماهية ، أو طبيعة للإنسان « سواء أكان فى الإرسطالية أو فى الفلسفات الأخرى» ليعمل كشىء ذاتى ، مثالى معطى . فأنا أخلق القيمة باختيارى — كما أستطيع خلق العمل الفنى — لا طبقاً لنموذج كان

twitter @baghdad_library

قد وجد من قبل . إن سارتر يضيف ، بقوله بأن هذا يعنى أننى مسئول عن صورة الإنسان عامة ، تلك الصورة التى اقترحها سلوكى . «أنا مسئول عن نفسى، وعن الآخرين، وأنا أخلق الصورة للإنسان الذى أختاره، وفى اختيارى لنفسى، فإننى أختار الإنسان». إن الحرية واضحة لى ،على أنها قاعدة لجميع القيم . أنا لا أستطيع الحرية ، ولكنى أريد الحرية ، سواء أكان فى مظهر محسوس ، أو فى مظهر آخر ، كغاية مرغوب فيها.

(وقد قدم سارتر هذا بصراحة،على أساس أنه «حكم أخلاقى» صفحة (٨٢) وتردد مع ذلك فى القول بأننى يجب أن أرغب فى الحرية . إنه يقول بأننى إذا أدركت مكانى فإننى أستطيع فقط أن أدرك الحرية) .

« إن المعنى الأساسى . لأعمال الرجال ذوى الإيمان الصادق ، هو متابعة للحرية ، ومتابعة للحرية كذلك .. إننى لا أستطيع أن أحصل على حريتى كغاية بدون الحصول على حرية الآخرين أيضا كغاية. » إنها تبدو طريقاً طويلا تبدأ من المذهب الفردى ـ البطولى « الوجود والعدم » إلى الجدول الكمتى مع نتائجه الاجتماعية التخمينية .

إن سارتر يظهر الآن ، على أنه يستنتج من وجهة نظره بالنسبة للوعى الإنسانى تلك الحالة الخاضعة للمجتمع ، والتى هى غالبا تبدو طبيعية ، ومناسبة للمخلوقات التى تتشكل . وبطبيعة الحال فإن سارتر لم يكن أول من استنتج الحتميات السياسية من طبيعة الإنسان. فكانت ورسو اللذان يتبعهما سارتر هنا كانا مرتبطين بالحرية على أساس أنها مميزة للوعى مع طبيعة المجتمع المثالى .

twitter @baghdad_library

وعلى أية حال ، فهناك غموض معين أو حتى نقص فى الصراحة ، ذلك أن سارتر قد تطور فى هذه الطريق من الوصف إلى التوصية . إن سارتر يرتبط بالحرية المتساوية ، كصفة عامة للوعى ، ذلك أن الحرية انفتاح لمطالب العمل الفنى ، وكذلك فإن الحرية فى هذا المعنى ، تملك المساهمة فى السياسة الاجتماعية الديمقراطية ، المعاصرة . إن سارتر يستطيع أن يجعل الاتصال قابلا للانفجار ، بمساعدة مفهوم ملكة الغايات . وبواسطة وسائل الغموض الكامنة فى استعمال كلمة « الحرية » .

إن « الحرية » فى هذا المعنى الذى يحدده سارتر بأصالة هى شخصية أى معرفة إنسانية ، لأى شىء : إن هذا المعنى هو ميلها نحو الظهور الفورى لكى تنتقل إلى الحالة التأملية ، وكذلك هو افتقارها إلى التوازن . إن سارتر يتحدث عن الحرية « فى الوجود والعدم » وكأنها كانت نوعا من أسفه على الكمال ، بالنسبة للوعى ، ويتحدث عنها أيضا ، وكأنها خطأ فى الوجود . إن الحرية عدم Néant . إن المعنى الآخر للحرية ، هو بحاجة لأن يحدد أكثر من التحديد الذى عرضه سارتر فى كتابه « ماهو الأدب ؟ » على أن هذا التحديد على أية حال ، ليس كالتحديد الأول منذ كان هذا التحديد غير قائم كميزة لأى وعى . إن الحرية تبدو أكثر من كونها نظاما روحيا . إنها تطهير للعواطف . إنها تبدو دائما فى الجانب الآخر من الاعتبارات التى تتصف بالأنانية ، وكذلك فإن الحرية هى احترام الاستقلال الذاتى للآخرين . إنها الاحترام لقوة الكاتب الخلاقة ، احترام الاستقلال الذاتى لجميع الناس « اتخاذ الجنس البشرى على أساس أنه غاية مطلقة » . ولكى تكون الحرية كل من المعجب

twitter @baghdad_library

الأخلاقى والمعجب الصعب الإدراك كما يستعمل سارتر هذه الجملة ، فإن معنى الحرية يبدو حليفا ، بصورة قاطعة للإرادة العقلية، بالنسبة لكانت وروسو . ذلك أن سارتر ، يتردد بين تفكير الحرية ، على أساس أنها حمى ، وعلى أساس أنها نظام . وإن هذا المفهوم يبدو واضحا فى رواياته عندما يدقق المرء فيها . إن الحرية فى « الغثيان » هى كل من الفراغ اللا معقول ، أو النسيج الهلامى المهزوز الذى يدركه روكنتان فى وعيه الخاص ، كما أنها القوى ، المتأملة التى تجبر روكنتان على الرؤية من خلال ادعاءات الأنذال Salauds . إنها كل من تقلقل الوعى الفورى والتجنب المنظم ، للوهم القائم .

وإننا نلاحظ فى « دروب الحرية » حرية ماثيو التى تأمره بهجر مارسيل عندما يفكر فيها ، ذلك أن « الحرية » تبدو بالنسبة له « مثل الجريمة ، مثل الخير » إن الحرية خبط عشواء ، وهى فى نفس الوقت تحرر روحى .

إن الحريه فى المعنى الثالث هى تلك التى تكون متناقضة فى ذاتها بالنسبة للكاتب من أجل تشويه الشخصية ، ذلك الذى يجب أن أبتغيه بطريقة جدية من أجل الآخرين كما هو من أجلى بالضبط ، فيما إذا مارست وعى كوجود إنسانى ، نقى . إن هذه الحرية هى حالة مثالية للمجتمع ، إنها الإرادة التى تفرض على ملتزميها الأوامر العملية للطبيعة اللا محدودة .

ومن هذا المعنى (المعنى الغريب الذى استعمل فيه مذهب الوجودية على أساس أنه مذهب إنسانى) تشم الكلمة نكهة ذلك الغموض ، على أن الحرية القوية هى التى تحارب بها الفاشية .

twitter @baghdad_library

إن الحرية تصبح سلاحاً حاداً ، يستعمل ضد تجريدات الانهيار النفسى لكل من الرأسمالية والشيوعية . والحرية فى المعنى الأول تستطيع بسهولة أن تفرض ، لكى تكون مميزة للمعرفة الإنسانية ، عن طريق امتيازها . إن هذا المعنى ، مرتبط مع المعنى الثانى ، بتفسير ثنائى (للتأمل) على أساس أنه هادم ، متأمل ، فورى ، وعلى أساس أنه قيد محكم . إن المعنى الثانى بعد ذلك يتحول بمساعدة المفهوم الخاص لمملكة الغايات ، إلى معنى تآلف ، وتكون النتيجة هى أن الطبيعة الإنسانية ، تطلب شكلا مقبولا للاشتراكية .

twitter @baghdad_library

رومانسية العقلانية

إن سارتر لم يورط نفسه ، فى معضلة صعبة ، أو معضله ظاهرية . ذاك أن سارتر كاشتراكى، عقلى ، أوروبى، مع إحساس ذكى لاحتياجات عصره ، يرغب فى تأكيد مدى قيمـــة الفردية . وإمكانية المجتمع ، الديمقراطى ، الحرفى المعنى التحررى ، التقليدى ، لهذه العبارات . ولعل هذا التأكيد ، من أكثر إدراكات سارتر عمقاً ، كما أنه مفتاح لفكره . وعلى أية حال فهو كفيلسوف وجد نفسه بدون المواد الخام ، التى منها سوف يبنى نظامه .. هذا النظام الذى سيشمل ويبرر هذه القيم . فسارتر لا يؤمن بالله ، ولا فى الطبيعة ، ولا فى التاريخ .. إذن بماذا يؤمن سارتر ؟ هل يؤمن بالعقل ؟ لعل هذه النقطة ، كانت هى النقطة الرئيسية ، فى كون سارتر يختلف عن الفيلسوف ، الوضعى الذى يكره الميتافيزيقيا ، التقليدية ، المتأملة ، ذات المعادلة الحادة .

إن سارتر يرى أن القيود التقليدية ، قيود جامدة ومعرقلة . إذ ماذا يبدو لمارسيل كعلاقة جوهرية غنيـه ، مع النسيج المثمر المعاش ، هو بالنسبة لسارتر سقوط ، فى حاله عدم الاخلاص ، كما أنه جهل، وتصور

twitter @baghdad_library

ذاتى . إن الطبيعة الكاملة ، التى تأوى سارتر ليست حاصل اللا متأمل ، بشكل كامل ، ولكنها حاصل للمتأمل ، بشكل كامل . وسارتر فيلسوف عقلى ، والفضيلة السامية ، بالنسبة له ، معرفة ، ذاتية ، متأملة . ومع ذلك ، فان هذا صفة ، لمدى احترام سارتر للعقل ، ذلك الاحترام الذى وضع سارتر ، فى موضع مميز عن المذهب العقلى الماركسى . إن سارتر يقدر الإخلاص ، والقدرة على الرؤية ، من خلال عيوب الإنسان ، لأن ذلك الإخلاص وهذه القدرة يمثلان عيبين ، اجتماعيين ، كما يمثلان الحيل ، التى يلجأ لها المرء .

إن سارتر يمتدح العقل فى ذاته ، كوسيلة لإبراز الروح ، أكثر من امتداحه له ، كوسيلة للغاية المنشودة . على حين أن الماركسى ، يستطيع أن يرى العالم ، كوضع عام ، للمشاكل العملية ، بالنسبة للسؤال الذى يعلم إجابته ، وهو يميل بطبعه إلى النشاط ، المتجسد فى حل المشاكل ، فى حين أنه لا يلجأ إلى التأمل ، الابتدائى الخاص . أن عقلانية سارتر لم تركز ، على تكنيكية العالم ، الحديث ؛ ذلك إن فردانيتها الذاتية ، ورمانسيتها ، منعزلة عن مجال ، العمليات ، الحقيقية . وسارتر يشارك كل من مارسيل ، وأوكيشوت oakeshott ، عدم ثقتهم « بالعالم » . وفى المناقشة التى ألحقت بكتاب سارتر « الوجودية مذهب إنسانى » اتهم نافيل Naville الشيوعى ، سارتر ، باحتقاره للأشياء un mépris des choses كما أضاف ، بأن الوجوديين « لا يؤمنون بالسببية » . إن الماركسى يستطيع أن يكون نفعياً ، مخلصاً ، لأنه يملك كل من الفكرة الواضحة للخير الإنسانى ، والفهم السليم للآلية .. آلية السبب ، والنتيجة الاجتماعية . وسارتر يفتقر

twitter @baghdad_library

إلى كليهما . . ذلك أن عقل سارتر ، ليس عقلا عملياً ، أو علمياً ، ولكنه عقل فلسفي ، وأن الشر بالنسبة له ليس المأساة الانسانية ، أو الأحوال الاجتماعية ، أو حتى الإرادة الضعيفة ، التي من الممكن أن تنتج عن هذه الأحوال ، ولكن الشر بالنسبة له عدم شرعية وضعنا المحدد . «إن الفنان يملك دائماً فهماً خاصاً للشر .. ذلك الشر الذي لا يتصف ، بالحالة الوقتية ، كما لا يتصف على أنه أداة لعزل الفكرة القابلة للعلاج ، ولكن هذا الشر ، صفة جبرية للانسان ، ولعالم الفكر» (١) .

كيف يفهم سارتر الحقيقة ، التي كانت قائمة قبله والتي ميزها سارتر ، بعمق ، وإشراق في « الوجود والعدم »؟ .. إنها الحقيقة السكيولوجية « الفردية ، المتوحدة . وخلف هذا التشخيص لا يوجد نموذج ثابت ، للغرض الآلهي ، ولا يوجد أبراج للفيزياء النيوتينية ، كذلك لا يوجد موجة ديالكتيكية كبيرة للعمل ، والصراع . إن عالم « الوجود والعدم » عالم فردانى ، ذاتى . والناس تدخل هذا العالم مرة في العمر ، كنظرة ميديسا المتحجرة ، أو بالأحرى ، كالخصم ، المدرك ، بصورة غير كاملة ، كصراع عاطفي ، غير مثمر . ما هي تحديدات شكل التمركز الذاتي Egocentric والعالم الاجتماعي .. إنها حركات الحب والكراهيـــة ، المشروع ، الاسترداد ، الارتباك ، السيادة ، التأمل ، العنف ، الافتتان ، واليقظة التي « يكتسب » بها الفرد حياته . ليس هناك سبب في « الوجود والعدم » لتصوير الذات ، يستطيع أن يفضل شيئاً على آخر ، أو يعمل شيئاً

---

(١) ما هو الأدب ؟ ص ٨٦ .

twitter @baghdad_library

أكثر من الآخر ، ما لم يكن من أجل تجنب المتاعب . يقول سارتر إن الوجود ملاحظة ، أو أنه يتبع بعض الغايات الشاذة ، اللامثمرة . إن التحليل الذى يقدمه « الوجود والعدم » من الممكن أن يزيد المعرفة ، الذاتية ، ويقود إلى نقطة ثابته ، ولكن هذا التحليل فى نفس الوقت ، لا يؤدى إلى الطريق . وهناك بالضرورة قيمة معينة ، تلك القيمة ، المشمولة من قبل هذه الدراسات التى هى ليست قيمة ذلك المحلل . إن القيمة التحررية ، لعمى الألوان توضح المعرفة بالنسبة للحقيقة . هذه هى « حرية » التحرر الشخصى ، من الخداع ، والوهم . إن فضيلة الحياة من الممكن أن تكون مكرسة للغايات النقية ، المعينة . وعندما نعود إلى الروايات ، نجد نفس مشهد الصراع الذى يمثل الاخلاص ، والتأمل ، والذى يستطيع أن يحمل الثمار العملية ، ذلك أن سارتر يقول بأن « الوعى المتأمل ، وعى أخلاقى » لأن هذا الوعى هو كاشف النقص ، وكذلك فهو « رؤيا » القيمة » ، وأخيراً فهو الكامل الذى يحدد ظله النقص . ومع ذلك فان الوعى المتأمل ، لشخصيات سارتر الروائية ، وعى حزين ، بالإضافة إلى أن انعكاس هذه الشخصيات مجرد انعكاس تعرية . إن فرد سارتر ليس بطلا ، ماركسيا ، كاملا ، بطريقة إجتماعية ، ولا هو بطل رومانسى بحت ، ذلك البطل الذى يعتقد بالحقيقة ، وبأهمية الصراع الذاتى . إن « الأنا » بالنسبة لسارتر ، غير حقيقية دائماً . والفردية الحقيقية هى أفش Ivich . إنها الغامض ، الشؤم ، الغير مفهوم ، والآخر اللاجبرى ، إنها المرئى دائماً من الخارج . و الاتصال الشخصى ، الحقيقى ، هو اتصال أفش Ivich مع بوريس ، الطبيعة التى تظل غامضة ، لكل من ماثيو ،

twitter @baghdad_library

وكاتيه ، بطريقة غير نافذة (أفش وبوريس يصمتان دائما ، عندما يريان ماثيو قادما) . إن الفضائل البسيطة ، للاتصال الانسانى ، تصبح أشكالا للخداع . والحرية والتأمل مرغوب بهما كغايات ، ومن ثم ، فأنهما يتحولان ، بشكل خارجى ، لكى يصبحان بدون مضمون . ماذا تطمح الروح فى أن تتحقق ؟ .. هل تطمح إلى ثرثرة فارغة ؟ وماذا ترغب هذه الروح ؟ هل ترغب فى السكون الكامل ؟ « إن مثالية الروح فى صمتها » . إن الفردية ترى من الخارج على أنها تهديد ، وترى من الداخل على أنها شىء فارغ . . وبعد ، فان هناك أكثر من تأكيد لسارتر فى « دروب الحرية » يقول فيه ، إن العاطفى « مهمل » . ونحن نجد هذا واضحا فى قصة شنيدر .. نجده غامضا ، مختصراً ، مثقلا ، بالعاطفة .

وجورج لوكاس Lukacs يمتدح سيمون دى بوفوار لقولها ، بأن ليس هناك مشكلة فى هذا العصر ، سوى مشكلة أخلاقية واحدة . وهى ما رأينا فى الماركسية ؟ . (وهنا مقالان فلسفيان : Pyrrhus et cinéas و pour une morale de L'Ambiguité يعالجان ، بشكل واسع مشاكل العقيدة السياسية ، والعمل) .

إن هذه هى المشكلة نفسها التى لفتت اهتمام سارتر أيضاً ، وهذه المشكلة ، تعتبر بالنسبة له ، خطأ إيمانه المنهار ، سواء كان هذا الخطأ من قبل هذه المشكلة ، أم لم يكن ، تلك المشكلة ، التى تبدو ، وقد بهرت إحساسه الأخلاقى ، فى الاعتبارات الأخرى ، وسمحت له ، بمعاملة العلاقات الشخصية ، على مستوى النظرة السكيولوجية . إن الامتيازات

twitter @baghdad_library

الأخلاقية ، تفقد أهميتها تحت ضغط هذا الاختيار . والحزن العميق فى كتابات بوفوار يعطينا جواباً ما . ذلك أن بطل « دم الآخرين Le sang des autres » يكتشف بصورة مؤلمة ، تأزمه الأخلاقى ، مع علاقاته بالآخرين ، حركته المضيئة ، وجوده العميق ، هرسه للآخرين فى الحب والسياسة . وهذا البطل يقفز من البساطة إلى حالة الذهول الميتافيزيقى ، حيث تبدو له البساطة غير ممكنة لتضعه فى إطار مسؤوليته . على أنه يكتشف أخيراً ، بأن «الحل» هو الصراع من أجل مجتمع الحرية القائم ، حيث الاحترام المتبادل للشخصية ، من أجل صالح كل منهما لاختيار طريقه الخاص ، ذلك أنه من المحتمل أن نضع نهاية لقسوة كل منهما للآخر ، أو نقدمهما فى النهاية على أنهما أبرياء .

إن سارتر أقل من كونه ساذجاً ، أو متشائماً ، فى حالة إمكانية وصولنا ، لنصبح « أحراراً كالسابق » . ذلك أن البراءة التى تبدو لسيمون دى بوفوار ، كمثالية خطيرة(٢) تظهر فى « دروب الحرية » على أنها رؤيا مائيو العابرة التى يرى من خلالها الأرض الفردوس . إن الجواب الرومانسى يقوم بدون الديمقراطية ، الاجتماعية المزركشة ويكون هذا الجواب معطى فى مجالات عقم هذه الديمقراطية فى قمة « جرس البرج » وسارتر يبتعد عن نقطة المجانبة ، ولكن ليس مع إدانة المرء الذى

---

(١) واضح ، بشكل جزئى ، إن سيمون تنتمى إلى الجنس الذى يستطيع تحرره أن يبقى مدركا ، كالعمل الجاد .. وكالذى يبقى مدركا داخل قوة العمل الجاد . أنظر كتابها « الجنس الآخر Le deuxieme sexe » .

twitter @baghdad_library

يواجه ، بوضوح طريقاً آخراً . إن وضع الثورة هو الذى يكون نقياً فقط[1] Seule la révolte est pure ، وهو الذى يشعر به سارتر ، ولكنه لا يخدع نفسه بالنسبة إليه إلى حد التخيل ، ذلك أنه يستطيع أن يعطى شكل البرنامج العملى . ماذا حاول سارتر أن يؤكد؟ هل حاول تأكيد القيمة المطلقة ، للإنسان واللحظة ، للفردية فى اللحظة ؟ إن جميع اللحظات متساوية الأبعاد ، منذ القدم . على أن سارتر يريد أن يقيم هذا التأكيد ، بدون أى مساعدة من أية خلفية دينية ، أو سياسية . وسيمون دى بوفوار تقلل من الوصايا الأخلاقية، سواء كانت اجتماعية أو شخصية ، على أنها لا تنسى أن تقدس وصية واحدة فقط وهى : احترام الحرية . ومع أن سارتر يضع استعمالا نظرياً لهذه المثالية، إلا أنه لا يوليها اهتمامه فى « دروب الحرية » . ودفاعه هنا عن اللحظة يبدو دفاعاً عار، ومتصور ، بالإضافة إلى أنه دفاع متجنب. إن اللحظة تستطيع أن تمثل وجه أفش الأنانى الإفرازى ، الذى يبدو وكأنه وجه شنيدر التراجيدى ، ذلك أن استقلال اللحظة الذاتى يكون تلك الإرادة الأنانية اللا عقلية ، أو بالأحرى الشكل الجديد المبرر .

إن اللحظة شكل ما يحمل خطاياه غيره ، ويعانى من أجله ، . أنها غير معينة . أنها ظل . أنها شىء مرير ، غير مؤثر ، وفى النهاية يكون واحد من هذه المظاهر هو الواعى ، لحالة السقوط خارج التاريخ، وهو المتنبه لهذا ، وكأنه حتمية ، ومع ذلك، فهو يواجه السقوط الأخلاقى .

---

(١) سيمون دى بوفوار — العصور الحديثة — ١٧، ٨٥٧

twitter @baghdad_library

إن قيمة الإنسان مكتشفة من قبل سارتر ليس فى دراسة جدية ، لمدى تعقيد العلاقات الانسانية ، ولكن ببساطة من خلال تجربة الألم، والضياع ، والانهزام . وفى اللحظات الفاترة تحلل الفردية ، بشكل غير منصف . ذلك أن ثمن الانسان مدرك فقط فى الغموض العاطفى ،للنحيب غير المجدى (لا يوجد هنا ، نصر إنسانى ، يستطيع أن يواجه الألم المطلق) . إن هذه الحالة مثل المرء الذى يبقى فى صورة واحدة ، ذلك أن الوجود الانسانى ، قيمه غير جبرية قائمة بدون أى توضيح لسببية ، وكيفية قيمة هذا الوجود ، أو لكيفية استطاعة القيمة أن تكون واقية.

« إذا كان الحزب صحيحاً ، فأنا أكثر وحدانية من المجنون . وإذا كان الحزب خاطئاً ، فإن العالم قد فعله كذلك » وسارتر لايعتقد ، بأن الحزب صحيحاً ، كما أنه لا يريد أن يعتقد ، بأن العالم قد فعل ذلك. ذلك أن نية سارتر الواضحة ،تقيم لنا ، بشكل حقيقى إمكانية الطريق السياسى الوسط لتقدم لنا مزيداً من حريتنا الواعية ، من أجل تقرير المصير الذى هو الآخر ، من جملة المختارين المتصادمين ، والذى وجد ليقدم تأكيد قيمة البرىء، والفردية الحيوية المهددة من قبل الجانبين. ومع ذلك فإن سارتر كمفكر منهجى للطريق الثالث ، لا يملك موضوعية يتعلق بها ، أكثر من امتلاكه إلى هذه اللفتة العقائدية الأخيرة فى تقدير الشخص الانسانى لقد نزع سارتر فى النهاية التشعب الميتافيزيقى التقليدى للطريق الثالث . ومن ناحية أخرى ، فإن سارتر يقيم التأمل الفارغ للعقل الذى فقد الإيمان ، فى قوة الطريق الثالث، من أجل إيجاد الحقيقة

twitter @baghdad_library

الموضوعية ، التي تعلم جيداً رأيها في الحرية الراسخة، ومن أجل أن تكون متناقضة تلك التي ترى الألم الانساني ، على أنه فضيحة وغموض .

وفي الناحية الأخرى ، يقع عالم الأشياء ، والسعادات الرتيبة، مغطى بحساسية ميتة ، غير معقولة ، حيث أن الناس الآخرين هم ميديسا ، وحيث أن الخلاص الوحيد يكمن في « الابتعاد » ، أو « فقدان الذات » . « وبالنسبة لروكنتان ، فإن كل من العادات الاجتماعية واللغوية تخدعنا مثل سطح البحر الأخضر » . إن الوعي الفارغ يرتعش مثل النار الخافتة بين الحقيقة المحسوسة ، المتحجره . . تلك الحقيقة التي تهدد ، لكي تطفأ النار ، وتلغي الحاصل المستحيل ، للحرية الثابتة . إن هناك حاصل للحرية أو حاصل تغطيس . تأمل محال ، أو صمت .

إن إماتة حضارات الشيوعية أو الرأسمالية شبيهة ، بالمجتمع الكامل المرفوض حيث يتوحد الرسوخ ، الكامل ، مع فردية المعرفة ، الكاملة ، وحيث يبدو الأمن الاجتماعي ، مع الحرية المدنية ، غير محتمل . وكذلك فإنه عندما يكون المرء مخدوعاً من قبل اللا محتمل ، والمستحيل ، فإنه لا يوجد شيء مبرر ما عدا حالة التمرد ، ومع ذلك ، فإن هذه الحالة عبث .

وفي المحن العملية ، اللاسامية فإن ما يواسي شيئاً ما هو شعور « الكل أو اللاشيء » . وسارتر الذي يرفض اللجوء إلى التقليد الموروث اللا عقلي ، يأخذ بدلا منه وبشكل رزين اللا عملي المثالي للعقلانية . إن سكيولوجية الفردية الذاتية للمرايا المنعكسة هي ما يسميها لوكاس

twitter @baghdad_library

(نفس الكلمات التى استعملها فى الغالب أوكيشوت فى وصف الماركسيين) ، بسياسة المراهقة[1] .

وطبقاً لهذا الناقد ،فإن الإنسان الغربى ،هو بالضرورة فى مواجهة لا شىء Vis-à-vis de rien ، ذلك أنه لايرغب إلا الحرية ،ومع ذلك فالحرية مثالية فارغة .

إن الانطباع العام ، عن عمل سارتر ، هو بصورة خاصة ، ذلك النموذج القوى ، ولكنه المجرد فى نفس الوقت للمعضلة التى لاأمل فيها ، تلك المعضلة الملونة ، بالرومانسية المزيفة ،والتى تعانق اليأس أبداً . وأن كون كثير من قراء سارتر ، لايجدون شخصياتهم فى أعماله . . يبدو شيئاً ممتازاً . فالتشابه دائماً شىء لطيف ، حتى إذا كان المرء قبيحاً ، ذلك أن المميزة الإنسانية العالمية ، من الممكن أن تكون مواسية فى حالة كونك مدركاً لألم شخصى لإنسان ما . ولكن هذا ليس قائماً ، لكى يقال ، بأن ما نقدمه هنا هو لاشىء ، ولكنه كاريكاتيراً ، غير مسؤول ، عن الأسلوب الحديث . إن سلبيات سارتر ، العظيمة ، ليست سلبيات المذهب التهكمى ، ولكنها سلبيات عقيدة عنيدة معراة . . تلك العقيدة التى ترتبط بقيم معينة حتى فى الجهد الذى يبذل لجعل هذه السلبيات عبثاً . والماركسيون يحملون على سارتر ،لأنه يصف الإنسان على أنه غير اجتماعى أساسا ، وأنه فردية غير تاريخية . ولكن ماذا يريد سارتر أن يؤكد؟ هل يريد أن يؤكد ، بقوة ، أن الفردية ذات أهمية مطلقة ، وأنها ليست مظهراً ما يصبح فى طى التقدير التاريخى . إن إنسان سارتر يوصف من

---

(١) جورج لوكاس — وجودية أم ماركسية ؟ ص ١٩٦ .

twitter @baghdad_library

لحظة إلى أخرى ، على أنه سلسلة فكرية متغيرة كما أنه أساليب فى ذاته، حيث لا يوجد نموذج ثابت ، سواء أكان هذا النموذج نشاطاً غرضياً أو حالة اجتماعية ،تستطيع أن تكون مميزة بسهولة. وعلى هذا المستوى فإن الحرية تبدو بالضرورة حرية غامضة وحرية تمثل شيئاً لا يبعث على الاهتمام .

إن سارتر يرغب فى جميع مظاهره أن يسحب الإنسان السارترى ، إلى النطقة التى بها يكون مستقلا لكل ما يبدو له ، مثل المذهب الحتمى اللا إنسانى للعالم المعاصر ، ومثل الدائرة الاقتصادية والاجتماعية ، حتى فى حالة كونها وسائل تصفه على أنه صدفة فارغة . « إننا نقوم مقام الأخلاق والفن فى التجريد[1]» وبعد فإن السبب فى كون سارتر لا يستطيع إنقاذ نفسه من الإدراك المطلق ،هو الرغبة فى التخصيص ، والكمال الذى أوجده سارتر على أساس أنه مميزة خالدة للإنسان . وعلى أية حال فإن سارتر يرغب فى خلق صورة جامعة ، للحاصل المحطم ،من أجل وصف حالة الانسان من نقطة خلف تلك الحاله . ولأن سارتر لم يجد شيئاً يقيمه فى الحضارات المتغيرة التى تواجهه ، فقد أقام صورته على أساس أنها صورة فارغة ، مجردة بقدر المستطاع .

إن سارتر يؤكد بصورة بسيطة ، الطبيعة المطلقة ، للفرديه حتى فى حالة كونه ، بدون أمل . وبدون تقديس للعقل وحتى إذا كان هذا العقل عقيما .

إن تلاعب سارتر بكلمة «الحرية» يمكن أن يكون وضعاً مفضوحاً

---

(١) سارتر «ما هو الأدب» ؟.

twitter @baghdad_library

للتقسيم المقنع ، ولكن هذا التلاعب دليل على المعضلة التى نحن جميعاً متورطين فيها . إن مرد هذا إلى أن العلم قد غير مجتمعاتنا ، وأن مفاهيمنا تتغير بصورة غير معقوله إنها تبدو لنا الآن غير ممكنة سواء كانت من أجل أن نعيش بطريقة غير متأمله ، أو سواء كانت للتعبير عن النظرة التى تكون من خلالها ، فى أى حدود منظمة ، تلك الحدود التى سوف تقنع العقل . نحن نستطيع أن نشكل الحقيقة لوقت قصير حول أنفسنا تلك الحقيقة التى سوف تطوقنا كما يطوقنا البيت. إن العقيلين المقنعين اليوم إما أن يكونوا ماركسيين ، أو علميين معميين . ولكن ماذا نستطيع أن نفعل ، بصورة عامة؟ وماهو جلنا؟ هل هو الإحساس، بالمجموع المتحطم ، والوجود المقسم ؟ بماذا سنتهم هؤلاء هل نتهمهم « بالثنائية الميتافيزيقية» . وعلى أية حال ،فإن جميع الفلسفات المعاصرة هى فلسفات الطريق الثالث .

twitter @baghdad_library

تصوير الوعى

أننى أعتبر نظريات سارتر فى ضوء اهتماماته العملية . وسوف أنظر إلى هذه النظريات ببساطة (كفلسفة) وبالمعنى التقليدى . ذلك أن اعتبار هذه النظريات ، فقط فى الطريق الأخير ، سيكون فقدانا لهذا الطريق. فعواطف سارتر السياسية ، تميز جميع أعماله ، وهى فى نفس الوقت مسؤولة عن كل التناقضات التى يمكن أن تكون غير مفهومة ، بالنسبة لبعض وجهات نظره كفيلسوف أكاديمى . على أن اعتبار أعمال سارتر ، بصورة قطعية على ضوء المفاهيم السياسية ، خطورة كبيرة فى تقدير صفات هذا الكاتب على أساس أنه مفكر . ذلك إن سارتر يعتبر ذا أصالة فلسفية فى اقتناعه الأخير .

وإذا فكرنا بطريقة ساذجة فى معنى الإدراك ، فإننا نستطيع أن نتصوره على أنه التقاط سلسلة من الصور الشمسيه العاجلة . كذلك فإن التفكير يقع خلف المصباح السحرى، لوجهة نظر الوعى التى نادى بها لوك(١)

(١) أنظر المقالة الثانية للوك ، ١٤ ، ٩ .

twitter @baghdad_library

وباركلى وهيـوم . إن الإدراكات واحدة للخطف ، والعواطف ، ولافكار الأشياء الغائبة. إن كانت ، وهيجل قد قلبا هذه العبارة ، عندما قدما مشاكلا ، عن معنى الأفكار ، وعن كيف أن الملاحظ يستطيع أن يشكلها أو يغيرها . إن الذات ، الموضوع يلتحمان . لقد ظل الميثاليون، المحدثون ، أمثال هوسرل ، يحاولون الحديث عن موضوعات الوعى ، وكأنها كانت صور محققة عابرة قبل العقل ، كما أن فرويد يستعمل هذا النوع من اللغة أيضاً ، بطريق الصدفة . إن المشاكل الميتافيزيقية قـد اقترحت من قبل وجهة نظر خاصة ، وأخذت بعين الاعتبار لزمن طويل، كما أن الاعتراض التجريبى كان قد تشـكل ، بطريقة أكثر استحداثاً . ونحن فى الواقع لم نجرب أى شىء من هذا القبيل . ذلك أن سارتر ، مع نقطة البداية الديكارتية ، قد تأمل خلاص الوعى من لحظة إلى أخرى ، وهل أن هذا الخلاص ، قد تأثر بالديكارتيـة . و « الغثيان » قائم على الآلام التى وجدت لتصوير شخصية ضبابية غـــير محددة ، لكثير من (حالات وعينا) . ولهذا فان المصباح السحرى يعتبر صورة خاطئة . إن سارتر ليس ملتزماً بالنظرة المشابهة للوعى ، كما يسميها البروفسور رايل Ryle بأنها الشبح فى الآلة . وكما لم يفـكر سارتر ، فى المعرفـة على أنها المجرى ، العقلى ، للأفـكار ، فإنه لم يفـكر فيها أيضا على أنها مجرى ، مواز لأعمالنا .

ما هى الأمثلة التى تستحق الذكر والتى استعملت فى «الوجود والعدم»؟ إنها المقامر الذى أذيبت حلوله بالقرب من المائدة الخضراء ، المرأة التى تطول حيرتها بترك يدها ساكنة فى قبضة عشيقها ، المراقب من ثقب الباب ،

twitter @baghdad_library

الذى يتحقق فجأة بأنه هو نفسه مراقب ، المتجول فى الحديقة الذى يتحول منظره الانفرادى عند وصول مراقب آخر . إن سارتر يظل مهتما فى خلاص الوعى ، لأن الدور الذى نحاول أن نصوره لأنفسنا يلعب فى علاقة سلوكنا ، وكذلك فان مظهر معرفتنا الذى من أجله أشار رايل إلى العالم الداخلى ، على أساس أنه إنقاذ خلفى هو بالنسبة لسارتر أهم مظهر من المظاهر. إن الوعى «مضطرب» فنحن لا نستطيع تأمل حالات وعينا ، ذلك أن هذه الحالات لا تشبه شيئاً ما ، فالعقيدة الواعية تنقلب إلى عقيدة غير واعية (١) . (ومميزاتنا) توجد من أجل الآخرين ، ولكنها تتلاشى ، قبل نظرتنا إليها . لقد اهتم سارتر بالانسان ليس على أساس أنه وجود (عقلى) ، ولكن على أساس أنه وجود (متأمل) ، أنه — الإنسان — تصوير ذاتى ، خداع ذاتى ، وكذلك ، فإنه يعرف مقدار الآخرين بشكل واقعى .

ماذا فعل سارتر بالنسبة لوعينا أو بالنسبة (لوجودنا) ؟ إننا فى الواقع قد واجهنا الصورة المتوترة ، والمتجسدة بصورة خاصة فى شخصية روكنتان ، ودانيال . وكان الوعى (من أجل ذاته) نوعا من العدم الذى يقع بين حالة الجمود غير المتأمل ، فى ذاته ، وبين المثالى . ولكن حالة المتأمل الذاتى المنعكس هى حالة ثابتة (فى ذاته ، ولذاته

---

(١) إن سارتر ليس بالطبع أول من عالج هذه المشاكل ، ذلك أن هذه المشاكل قد طرقتها شخصية ستافورجن فى (المالك).

twitter @baghdad_library

En-soi-Pour-soi) وأنا سوف أحاول الآن أن أعطى معنى فلسفيا أكثر وضوحا ، لهذه الصورة .

إننا نستطيع ذلك إذا أردنا تصوير العالم ، بطريقة واقعية ، تشبه الأشياء ذات المميزات المحدودة الثابتة . ذلك أن الأشياء الضبابية عندئذ تقدم نفسها على أساس أنها قادرة على تسمية . وتشكيل الوجود . إن هذه ليست صورة كاملة على أية حال ، منذ أن حذفنا وجود المراقب. وحالما نحضر اليه فإننا ندرك ليس فقط أن معرفته للأشياء التى يتخذها لتكون ثابتة ومحددة، بل ندرك ، بأن هذه الأشياء ليست محددة ، وثابتة فى ذاتها ، وبأنه هو أيضا يعرف الأشياء ، وكأنها عواطفه الخاصة التى لا تستغنى عن ذواتها لتصبح مراقبة ومعينة . ونحن كذلك بدورنا ندرك بعد ذلك ، أن الأشياء الثابتة فى العالم لا تملك صفاتها بطريقة غير غامضة، ومفروضة عليها . أنه ذلك المراقب الذى يكتب السطور ويقوم برسم الشكل . إن التحقيق الذكى لهذا هو واحد من طرق بداية الفلسفة . وأن هذا أيضا يضع المرء فى خطر مباشر ، وبعيد أيضا عن الاتجاهات الأخرى ، (الحركة من الواقعية إلى المثالية ، تستطيع أن تكون سريعة. هكذا يعتبرها باركلى) .

يقول سارتر بأنه يرغب فى وصف الوعى ، ليس على أساس حاصل العالم الانسانى ، ولكن على أساس نواة سريعة (« الوجود والعدم » صفحة ١١١) . وكذلك فان سارتر يرغب فى الإبقاء على الحقيقة التى اكتشفها المثاليون عندما فكروا فى الملاحظة على أساس أنها منبع المعنى . ومن ثم فان المراقب لم يقع فى خطأ المثاليين ، الذى هو تحويل العالم إلى معانى

twitter @baghdad_library

منتسبة ببساطة ، ومن ثم إلى أعمال فنية . إن سارتر يبرز خطأ المثاليين الأساسى ،الذى هو التفكير فى المعرفة المتأملة،على أساس أنها نوع من المعرفة ومن ثم بلورة جميع أنواع الوعى على أنه وعى متأمل .وسارتر يريد، أن يعرض (ما يشبه العالم) عن طريق «كيف نرى العالم» تلك الطريق التى لاتقلل من وجودنا الذاتى ، من أجل إثبات التأمل الذاتى، ولكن تصور كل من طبيعة المعرفة الفورية المراوغة ، والطبيعة الدرامية لمزيد من وجهات نظرنا الواسعة ، لأنفسنا . ومن أجل عمل ذلك ، فإن سارتر، غير راض ، فى تجنب الخطأ المادى (الذى ينسب إلى هيدجر) لوصف العالم ، فى حدود وسائل التجربة التى حذف منها عنصر المعرفة،الذاتية ، المتأملة ، وخطأ اقتراب المذهب السلوكى الذى ينسب بدون شك إلى رايل (Ryle) عن طريق إهمال التمذهب الذاتى ، وعن طريق طبيعة الصراع الذاتى ، للفعل الإنسانى .

إن الماركسيين لم يكونوا أول من حول ديلكتيكية هيجل العقلية إلى ديلكتيكية واقعية، ذلك أن كيركجارد قدفعل نفس ما فعله الماركسيون ولكن بطريقة مختلفة جدا . إن التطورات التى اقتنع بها هيجل، كتفسير عقلى من فكرة إلى أخرى، هى طريقة تملك موضوعية واضحة الاستنتاج فى حين أن كيركجارد صورها على أنها حركة حقيقية روحية أو سكيولوجية للشخصية من وجهة النظر (الأسلوب أو نوع النظرة) الأخرى .

إن هذه الحركات كانت ذاتية عكسية ، كما أنها كانت فى نفس الوقت بدون وسائل حتمية. وسارتر يفكر بالوعى أيضاً على أنه (ديلكتيكى) ولكن الديلكتيك يحتوى على تطورات فعلية المعرفة من حالة إلى أخرى.

twitter @baghdad_library

فى حين أن (مراحل) كيركجارد تناسب فقط أنماط الشخصية ، أو على الأقل هى مظاهر سكيولوجية عميقة ، هذه المظاهر التى بها يستطيع المرء أن يكون مواضبا لمدة طويلة ، ذلك أن سارتر أيضاً يضمن وصف التطورات التى من الممكن أن يعانى منها الوعى من لحظة إلى أخرى . إن هذه التطورات ، والتغيرات حقيقية بحربة لا من قبل العواطف الميتافيزيقية أو الاستنتاج الغيبى الذى (يجب أن يكون مزعوماً) لكى يأخذ مكاناً ما . إن الوعى طبقاً لآراء سارتر له ثلاثة أساليب . المعرفة غير المتأملة ، والانعكاس ، والوجود من أجل الآخرين .

إن الوعى فى ذاته (هو) لا شىء . إنه الانحدار الذى لا أستطيع الثبات فيه . إننى لا أستطيع أن أقيم وأملك زمام معرفتى ، كما أقيم وأملك ذلك الذى أعرفه . والوعى فى جميع حالاته يملك صفة التصور الذاتى ذلك الميل نحو استبقاء المعقد ، والمدفون الذى كانت الذاكرة قد أقامته من قبل . ونحن فى كل لحظة نقفز إلى الخلف ، إلى حالة ، وإلى ملاحظة واضحة ، هى كيفية تكوين ما يحيط بنا . وفى الظروف (العادية) لا تحدث لنا إمكانية الانعكاس البسيط أى شىء . وفى الظروف الأخرى ، (وبصورة خاصة فى الحالات العاطفية) تواجه هذه الإمكانية ومن ثم ترفض .

إننا نعرف أنفسنا بطريقة واضحة ، فى الحالات اللا متأملة . ذلك أن هذه المعرفة الواضحة هى ما يدعوها سارتر بوعى الذات Conscience (de) soi ، وفى بعض الأحيان يدعوها « الكوجيتو المتأمل قبلياً » . إن تلك المعرفة المتأملة من الممكن أن تتحول إلى

twitter @baghdad_library

الخلف فى أى لحظة . تلك اللحظة التى أهملتها الفلسفة الكلاسيكية تحت سمع ، وبصر الكوجيتو المتأمل ، (أو الفكرة البسيطة التى تمثل نفس النطقة الثابتة . إن ما نعرفه ببساطة فى تلك الظروف على أية حال ليس معرفة وجود أنفسنا ، ولا حتى التحديد الخاص للمعطى الحسى Datum العقلى كذلك . إن العالم يستفزنا أو يغرينا ، بواسطة طرق خاصة ، أو يقيدنا بصفاته الخاصة . ونظرة العالم هذه نستطيع أن نضعها موضع السؤال ، فى أى لحظة .

فهذا التأمل مثلا سوف يأخذ بصورة طبيعية شكل إعادة خلط النموذج (فى خارج العالم) ، بدون أى معرفة ، واضحة ، لنشاطاتنا المقدرة ، والمفروضة . وعلى أية حال ، فإن الشك فى بعض الأحيان سوف يضعنا فى تلك الطريق ، وكأنه يجعل مناعارفين لذواتنا كوسيلة لمعرفة الأشياء فى حالة الشك الأخلاقى (هل أنا أشوه هذا الموقف) أو فى وسط المصاعب المقنعة عن طريق الوجود المفاجىء للمراقب . إن الأنظار موجة الآن ليس على عالم الأعمال ، والاستفزازات ، ولكن على عالم العقل الذى يسمح لنفسه ، أن يكون مثاراً ومساعداً لقوة ما . وبعد ، فإن مثل هذا التأمل ليس تأملا ثابتاً للخطة طبيعية منذ لم تستطع الطبيعة أن تكون متأملة . إن السكيولوجيين يملكون فقط فكراً ، ويستطيعون أن يكونوا كذلك لأنهم يبدون قادرين على تمييز حالات العقل فى الماضى القريب . (قارن هنا مرة أخرى) بين رايل الذى يوافق ، على أن الإستبطان هو الإستبطان الحقيقى — « مفهوم العقل » صفحة ١٦٦) . إننا على أية حال ، نميل إلى الخلق من أجل أنفسنا ، فى هذه النقطة ،

twitter @baghdad_library

ولهذا الموضوع المزيف : شخصيتنا أو طبيعتنا التى يمكن أن نتصورها، لتكون مرتبطة بسلوكنا بشكل سببى . وهذا مايدعوه سارتر بالتأمل المشترك réflexion complice أو سوء الطوية . إن سارتر يؤمن ، بأن العقل الذى يملك قوة التطهير والتأمل عقلا ليس متأملا وكذلك فهو ليس شكلا للمعرفة . ومن خلال مزيد من نشاطات التأمل المشترك لا تقوم فقط الصور اللا نقدية للقوى الداخلية ، التى تحكمنى ، ولكن كما يقول سارتر (وكما يوافق رايل أيضا ، ذلك أن رايل يضعه بصورة مختلفة) تقوم أيضاً السكيولوجيا المعاصرة ، وكثير من الفلسفة التقليدية إن التحديد الذى يعتبر الوعى فى ذاته كمصدر للمعرفة ويعتبر الإشراق عملا لها يقود بصورة بسيطة ، إلى خلق موضوعات عقلية ، مناسبة متفرقة ، تلك الموضوعات التى يبدو أسلوبها ، بالنسبة للوجود أسلوباً تأمليا . ومثل هذا التأمل ليس هو ما يحثنا عليه سارتر عندما يحثنا على التأمل ذلك أن تأمله النقى reflexion purifiante هو شىء أكثر من كونه صعباً وأقل من كونه كافياً .

إن إغراء التفكير فى طبيعة حياتنا كشىء مايزداد ، بالطبع بواسطة الحقيقة ، تلك الحقيقة التى هى كيفية تفكير الناس بها . إن التأمل الجاد، بالنسبة لشخصية ما يستنتج معنا غريباً لمفهوم الفراغ . وإذا استطاع شخص ما ، أن يفهم شخصا آخر بطريقة جيدة فإن هذا الشخص يمكن أن يرى مظهراً مزيفاً فيه (هذه هى واحدة ، من الامتيازات الغريبة، للصداقة) ، ولكن نظرات المرء إلى الآخرين هى بطبيعة الحال مثل نتاج محكم منتهى للذين تكون أوصافهم مثل (« الحسود » ، « السيء

twitter @baghdad_library

الطبع » ، « السليط » ، « الحيوى ») .. هؤلاء الذين ينتمون ، إلى قوة سلوكهم . ذلك أنه منذ أسطورة « الشبح فى الآلة » وهو أيضاً فى لغتنا، بعمق ، ونحن نعتقد بصورة قاطعة ، بالإنسان على أساس أنه مركب من القوى الطبيعية ، التى تبرز فى الشخصيات التى تبرر الأسماء . (هذا هو مظهر معرفة عقلنا ، بصورة مستبعدة . . تلك المعرفة التى عولجت فى « مفهوم العقل » . إن مشاكل الدفع Motivation ، والمعرفة الذاتية التى يحذفها رايل ، ويناقشها سارتر ، لا تقوم ، إذا اعتبرنا فقط نوع المعرفة الشاملة فى كل يوم ، من أجل إيجاد عناوين لمعارفنا) . إن وعينا لكيفية تصنيف الآخرين لنا فى هذه الطريقة ، ولكيفية رؤيتهم لنا يكون غالباً واعياً ذكياً . إن هذه القضية هى وجودنا من أجل الآخرين être Pour-Autrui تلك القضية التى ناقشها سارتر فى كثير من تحيلاته الرائعة وفى كل من رواياته (وبصورة أكثر) فى « الوجود والعدم » . إن رؤية أنفسنا من قبل الآخرين معناه أن نرى أنفسنا فجاة ثابتين ، غامضين ، كاملين ، ومن الممكن أن نقبل مثل هذا التقييم على أنه تقييمنا . وعلى أنه إنقاذ من الفراغ ، الواضح ، للتقييم الذاتى . وإذا نحن أنكرنا من ناحية أخرى ذلك الذى عمل على إدراكنا الآخرين كرئيين ، فإن التجربة من الممكن أن تكون محزنة أو مخبولة .

إنه يبدو الآن سهلا النظر فى ما إذا أخذ سارتر ، بالطريق الوسط ذلك أن الأوصاف التقليدية الميتافيزيقية لعمليات العقل ، تبدو غريبة، وغير ملحوظة ، كما أنها تبدو منفصلة ، عن أعمالنا المكشوفة بواسطة المجال التى تعيش فيه « التجارب السكيولوجية » بسهولة ، ولا نقدر هذه

twitter @baghdad_library

التجارب على الانتماء بشكل واضح إلى أحد الجانبين .

إن الوضعية الحديثة تحقق الوضع الواحدى Monistic ، بتحليل العقل ، إلى إثباتاتها الخارجية . وسارتر يرغب فى تمهيد الطريق التى يتردد بها العقل بين الثنائية والواحدية ــ ذلك التردد الذى ظهر بوضوح فى أساليب الملاحظ الحقيقى للتجربة .

كيف يؤمن سارتر بأننا نستطيع أن نقاوم ميلنا نحو سوء الطوية؟ فإذا كان هذا واضحاً ، فإن طبيعة سوء الطوية نفسها ، يجب أن تكون واضحة . ونحن نرى دائماً أن سارتر يرفض فكرة ذلك « الإخلاص » فى حدود الصدفة الشفافة مع ذات واحدة . (ذلك أن مثالية روكنتان ودانيال) ممكنة .

ونحن نرى أيضاً أن تحقيق « القيمة » يبدو أنه يعتمد على تحطيم المتأمل ، بالنسبة لفوضى الوعى . ذلك أن القيمة التى تحقق ذاتها مع شىء ما ، سواء كان مادياً ، أم طبيعياً ليست « قيمة » . إن القيمة التى توجد طبيعة مثاليتها ، فى وجودها ، يجب أن تتوقف لتكون قيمة كما يجب أن تتحقق من تبعية الإرادة(١) .

ولعل هذا أيضاً ما أعاد كانت اكتشافه ، على بقايا الفلسفة الأخلاقية الوضعية . إن كانت قد آمن بصورة معينة (كما يؤكد فرويد) ، بأن المرء يجب عليه أن لا ياخذ من طبيعة حياة شخص ما ، على أساس أنها وجه القيمة . . ذلك أن الإرادة العقلية ، الوحيدة تبقى منفصلة ، عن

---

(١) الوجود والعدم ص ٧٦ .

twitter @baghdad_library

عالم الظواهر التجريبية ، ولا ترى فى عملياتها الخاصة . وكانت لايحقق ذات القيمة ، مع أى عمل ، أو موضوع تجريبى ، ولكنه يحقق هذه الذات مع موضوع غير تجريبى خاص بالفعل .

إن مظاهر كثيرة للعقل ، تستطيع ، بشكل مستعد أن تكون مشروحة فى حدود وظائف الجدير بالملاحظة ، فى مثل هذه الطريقة التى تبدو ، على أنها تهيأنا للبحث عن المـــادة الداخلية . وفى الطريق تبدو الشخصية سلوكاً ، أو — إذا كان الوصف ، الأكثر عمقاً ، مفضلا — لعبة قوى الطبيعة الواعية .

ولكن ماذا عن فعل الاختيار نفسه ؟ يبدو أن هذا وحده يعيدنا إلى الخلف ، حيث وجهة نظر التمركز الذاتى التى كانت غائبة ، عندما كانت أدوات تحليلنا ، العمليات التى يستطيع الخارجى أن يلاحظها . إن كانت يستثنى اختيار العمل الأخلاقى من عالم الفينومينولوجيا ، بالرغم من أنه دافع عنه فى هذا الطريق ، ومع ذلك ، فإن كانت قدترك عمليات اختيار العمل الأخلاقى ، غامضة . (أنا لا أعرف فعل الإرادة العقليه فى نفسى) .

لقد عارض كيركيجارد الأساس الديلكتيكى لهيجل لأن سر التمركز الذاتى ، لعمل الاختيار يبدو ، وكأنه قد فقد فى الحركة العقلية ، الموضوعية ، المحددة للديلكتيك . أن سارتر لا يقبل أيضاً أن يتحول العقل إلى ظواهر جديرة بالملاحظة ، سواء أكانت أساليب رايل العاديه ، أو قوى فرويد . ولعمل هذا يجب تدمير بذرة العالم الفورية وإهمال ذلك الذى

twitter @baghdad_library

هو أساس منبع المعنى . إن الوعى فوق ذلك كله يكون مهيمنا ومسئولا فى جميع الأوقات منذ لم يكن هناك طبيعة عقلية فى ميتافيزيقية سارتر ، تحل محل عمل إثبات معنى جزئى للكون .

إن سارتر يعارض تحليل «فرويد» للعمل ، ليس فقط لأن فرويد يبدو أنه يقيم معنى عملياً لشىء ما ، ذلك الذى هو ، جدير بالملاحظة بواسطة مراقب خارجى يراقب وعى العامل ، بصورة مستقلة ، ولكن أيضاً لأن فرويد ، يرجع معنى الفعل . إلى الماضى ، فى حين أن سارتر يرغب فى إرجاعه إلى المستقبل . ومن أجل ذلك فهو يرغب فى تجنب معارضه (كما يمكن أن تقترحها صورة كانت) الأسباب الواهية للعقول الشفافة . (وكأن العمل كان قفزة غير مناسبة ، خارج الموقف التجريبى المعطى) . ولكى يكون الوضوح قائماً فى الاختيار المحلل ، فإنه يكون أكثر من كونه بين الدافع ، أو بالضبط المتأمل الواضح للعالم ، كنقطة نحو نهاية معينة ، وبين انتسابه المتحرك الذى هو وعى أنا اللا متأمل للموقف ، على أساس أنه مكون بطريقة خاصة . إنه المتحرك الواعى الذى ما قبل المتأمل لكيفية فهمنا للموقف ، ذلك أننا غالباً نخطىء بالنسبة للعامل السببى . إن الدافع ليس سببية عقلية (كانت) ، أو طبيعة سببية (فرويد) . ذلك أن الدافع يملك صفة ذات سحر ذاتى عجيب ، تلك الصفة التى حللها سارتر فى (مقاله فى العواطف) . (إن عمل الإرادة) والتأمل الأخلاقى ، قد تشكل بالطبع فى مفهوم اللا متأمل والمطول ذاتياً ، لكيفية وجود الأشياء . إن الحرية تكون أكثر عمقاً من الإرادة ، إنها أنا الذى يتعامل بالقيمة فى كل من الدوافع والمحركات ،

twitter @baghdad_library

ذلك أننى لست مراقبا عقليا مستقلا يستطيع أن يقدر الموقف المعطى، بصورة موضوعية ، ولذلك فأنا لست مسئولا . إن الأخلاق المتأملة ليست أكثر من اختيار لأسلوب العمل المختار ، أو بالأحرى : ليست أكثر من أسلوب غير متأمل .

و تحليل الاختيار يعتبر بصورة سلبية ، كما يبدو مشابها لذلك الذى قدم من قبل وضعيين معينين . (أنظر مقالة ستيوارت هامفيشاير فى مجلة « العقل » عدد أكتوبر سنة ١٩٤٩ « الصعوبة فى التصنيف ») . ومثل هذا التقدير يجب أن يكون ظاهراً إما بابتعاد الأخطاء السلوكية التى كان سارتر غير راض عن الابتعاد عنها، (إن الاختيار هو النموذج الحقيقى لحياتى) أو إذا اكتملت الخلفية الطبيعية ، لكى تكون نوعا من المذهب الحتمى ، السفسطائى . ما هو الانفتاح المستقبلى فى العلاقة التى أراد سارتر أن يعطى فيها المعنى إلى مشروع الوعى ، وماهى الحرية التى تكون أكثر عمقاً من الإرادة ؟ .

إن هذا جدير بالبحث على مستوى المشروع الأساسى الذى هو مستوى التأمل المطهر على أساس أنه واضح من خلال التأمل المشترك الذى يصاحب التحرر الإرادى ، وعلى أية حال فإن سارتر يقول أن (الاستعداد للكلام ليس هو ما يجب أن أعرفه عن أفكارى ولكن كيفية إثبات أفكارى فى شىء غير الكلمات ؛ إن هذا هو شكل الحقيقة الإنسانية كلها) . إن الموجود محدد من قبل مسالم ما ، ومن قبل حقيقة زائفة . إن أفعالنا تعلمنا نوايانا ، كما تعلمنا لغتنا أفكارنا . وهذا ليس بالضبط ما يقال من أن نوايانا ليست شيئاً يذكر ، ولكن الشىء الهام

twitter @baghdad_library

هو أفعالنا ، وبالمثل ، بالنسبة للأفكار ، والكلمات . ومع ذلك فما هو المشروع الأساسى ، هل هو المشروع (الحر) ؟

إنه من الصعوبة إعطاء جواب واضح لهذا السؤال ! هل المسألة كما هى موجودة تسيطر على فى اللحظة التى أعطى فيها القيمة إلى الدوافع ، والمحركات ، التى تبدو محددة لاختيارى ؟ وللتفكير فى هذا يجب علينا بصورة بسيطة أن نعيد مرحلة واحدة تساند خطأ التخيل ، ذلك أن الحرية تنبثق من العمل المباشر للإرادة . إن ماهية العالم الثورية ، لا تمارس سلطان المجموع فى أى لحظة من لحظات المعنى . ذلك أن الاختيار الحقيقى طبقاً لفلسفة سارتر ، يحوى مزيدا من الحالة التى تحاول أن تخدع وجودنا عن طريق التأمل النقى . إن الحرية ليست بالضبط إضاءة لأعمالنا الخاصة التى تأتى ، بطريقة المصادفة ، إنها إدراكها واستبطانها . إن الحرية مثل المسكن للأعصاب المتوترة ذلك أنها قائمة على مستوى الفهم الكلى ، ذلك الفهم الذى أعتقد بان سارتر يوافق عليه ، لأننا لا نملك ضمانا لوصولنا أو مقياسا لبرهاننا الزائف على التمييز ، بالرغم من أننا نعرف تماما فى أى اتجاه تتجه . إن الحرية تبدو بعد كل هذا مثل إرادة كانت العقلية ، إنها تبدو غامضة وساحرة .

وإذا كان بعض الناس يشكون من هذه الوسيلة ، فإن نصف الوقت يمضى ونحن لا نعرف ماذا نفعل . ذلك أن الحرية تقيم عمل الحياة فى التحليل الشخصى الدائم ، ويكون الجواب بعد ذلك هو بالضرورة عن كيفية رؤية سارتر للمسألة . لقد غضب سارتر من كون الفلسفة التقليدية قد قامت من التامل المتبادل ، ذلك أن الفلسفة الحقيقية هى الفلسفة النظامية لتامل نقى ، وأن غايتها الأخيرة هى مبادىء التحليل

twitter @baghdad_library

النفسى الوجودى » . وسارتر يرى الحياة كما يراها فرويد ، على أساس أنها ، تمركز ذاتى للدراما . « إن العالم عالمى » وعلى ذلك فهل يتشكل بشكل قيمى ، ومشاريعى ، وإمكانياتى .

إن سارتر على أية حال يرغب فى أن يكون عارياً ، بواسطة التامل النقى (الذى يوافق رد هوسرل الفينومينولوجى) . فطبيعة الوعى ، هى الاحتفاظ بسلطان عقل الفردية على أساس أنه منبع للمعنى . وبالنسبة لسارتر ، فإن النفس متوافقة فى الانتشار مع الوعى. على حين أن الدافع الإنسانى الأكثر عمقا جنسياً بالنسبة لفرويد ، بينما هو بالنسبة لسارتر اتجاه نحو التطابق الذاتى ، Self-Coincidence الذى هو مفتاح لوجودنا إن سارتر بدون شك لاينكر ، بان كثيرا من رموزه الخاصة ، تستطيع أن تكون موحية ، لمعنى ، جنسى ، (تفهم ، على أساس أنها طرق ، للتفكير ، الجنسى) أو بواسطة ذلك الشخصى . على أن سارتر يريد أن يؤكد ، بان السبب الجذرى ، لسحر هذه الأشياء هو كونها ترمز إلى الوعى فى ذاته[١] .

---

(١) إن الرمز القائم ، بالنسبة لتصلب ميديسيا قد فسر من قبل سارتر ، على أنه خوف من عملية الخصاء ، « رسائل فى الجنس المجلد الخامس » فى حين أن سارتر يعتبرها ، بالطبع على أنها قاعدة ، لمعنى خوفنا العام من كوننا مراقبين (الوجود والعدم ص ٥٠٢) . إنه من المثير حقا التصور كيف أن شخصا ما يتخذ قرار يكون تفسيره « صحيحا » .

twitter @baghdad_library

استحالة التجسيد

هناك نوعان من الاعتراضات ، على نظرية سارتر فى الوعى ، بالرغم من أن هذه النظرية تحوى كجزء من « وضوحها » على مقدار كبير ، من التحليل السيكولوجى ، الذكى الواضح . فالاعتراض الأول يتخذ من المشروع ، الموصوف ، الكامل ، على أنه مشروع ، محتمل ، وهذه هى نقطة تعسفية ، و نقصان هـــذه النظرية . أما الاعتراض الثانى ، فهو اعتراض منهجى ، فى النتيجة ، ذلك أن سارتر يعمل ، بطرق مختلفة ، تماما كما كان قد اتهم منهج الفلسفة التقليدية فى ذلك . ولعل هذا المنهج لم يخرج عن كونه تشكل العقل فى شكل ، المادة ، التصورية ، الغامضة . إن التعسف الجائر على البنيـة ، هو كونى أفكر ، فى اللامرفوض . وسارتر لا يقدم شيئاً يشبه الاستنتاج المقنع لمقولاته . إن للوعى طرائق ثلاث : المعرفة اللامتأملة ، التأمل ، ومن ثم الوجود من أجل الآخرين . ذلك أن المقولات الرئيسية ، للوعى ، هى نوعيات علاقاتنا مع الآخرين : اللغة ، الحب ، الكراهية ، التوافق ، الرغبـة ، السادية ، الماسوشية . ولكن لماذا يجب على المرء ، إن يقف هناك ؟ أنه طبقاً لفلسفة سارتر ،

twitter @baghdad_library

تكون معرفة الآخرين ، الشكل الأساسى ، لمعرفتنا للعالم . فنحن لا نملك وسيلة نعرف بها « أصدقاءنا » . ومن ناحية أخرى ، فإن معنى الملكية المشاعة ، هو معنى «النحن» الذى هو شىء ما ، نجربه غالباً ، وهو فى نفس الوقت ليس الأساس فى وجودنا ، ولا يشكل جزءاً من « البناء الوجودى للعالم الإنسانى » (الوجود والعدم ص٤٨٥) . هناك نظرة تعسفية حول فكرة المقولة الأساسية ، أو الأصلية هنا . ولنفرض ، بأن واحد ما ، يؤكد بأن أكثر المقولات الحقيقية عمقاً تكون فى علاقته بعمله . وهل هو كذلك ، غير عارف ، بصورة كاملة ، نية أصحابه ؟ إن مناقشات سارتر تدل على أنه ضد مثل هذا الوضع الذى يجب أن يحوى فقط — كما يفعل فى جميع مناقشاته بالنسبة لهذا الموضوع — أوصافاً مقنعة التى إما أن « تدق الجرس » أولا تدقه . إن الاهتمام الأول هو لتجربتنا ، ذلك أن الأجوبة قائمة كحقيقة واقعة ، متفرقة . وبعد فماذا أعطانا سارتر بصورة خاصة ؟ .. هل أعطانا تحليلا ذاتياً . بناءاً ، ومشرقاً ، بصورة عامة ؟ إننا نميل إلى القول ، بأن هذا نوع من الشخصيات ، ولكن هناك شخصيات أخرى .

إن عمل سارتر قابل للطعن وللهجوم ، بصورة سهلة .. ذلك العمل الذى يأخذ شكل مزاعمه . ذلك أن سارتر يجب أن يكون له عمل أحسن لكى يقبل ، ويفتح لاستقصاء المعنى ، الذى فيه جميع الأوصاف العامة للعقل .. تلك الأوصاف التى يجب أن تلحق ، بالتأمل المشترك ، الذى يجب أن يضم الماهيات hypostatistaions . فنظرية سارتر تملك فقط الإشارة إلى الطريق التى تشير اليها جميع النظريات الميتافيزيقية ،

twitter @baghdad_library

وهى ليست فى نفس الوقت طريقاً جـــديداً . (جميع النظريات الميتافيزيقية قابلة للطعن بطريقة غير مقنعة كما أنها قابلة للهجوم الوضعى) .

والآن ما هو الجديد حول هـذه النظريات الميتافيزيقية ؟ هل هو انغلاقها ، بالنسبة للنظريات الأخرى ، مثل النظرية « السكيولوجية » لفرويد . ولـكن نفس مشاكل الاعتراضات السابقة تقوم حول نظرية فرويد ، إذا اعتبرت من ضمن تلك النظريات . على أن هذه النظرية ، هى نظرية طبية ، بالمعنى الضيق .

إن الوضع يكون أكثر وعياً ، وإدراكا ، فى حالة تسمية نظرية فرويد ، بالنظرية الميتافيزيقية ، ونظرية سارتر بالنظرية السكيولوجية . ذلك أن النظرية الأخيرة تشير إلى عدم وجود التأمل ، فى حين أن الأولى ثبتت هذا التأمل . إنه من المناسب جـداً نقد سارتر على ضوء الاعتراض ، وأخذ هذا الاعتراض على أنه شىء مسلم به . . لأن الفرق بين الميتافيزيقيا ، والسكيولوجيا غير واضح الآن .

إن سارتر يمتدح كيركجارد ، لمهاجمته هيجل ذلك أن ما أردته من العالم هو تحقيق لوجودى ، كفردية ، مستقلة ، وليس على أساس أنى حقيقة مجردة . إن ماهية سارتر ، تحاول وصف العقـل على أنه تمييز للحادثة فى المجال الطبيعى ، تلك الماهيـة التى تشمل حماية رفعة الوعى الفردى . إن الوعى لم يوجد لـكى يقلل المعرفة أو يختار السببية الذهنية . ذلك أن سارتر يترك العبارة المثالية للعقل على أساس أنها مركز التصميم الذاتى للأفكار المناسبة . فى حين أن سارتر يبـقى على عبارة العقل على

twitter @baghdad_library

أساس أنها منبع للمعنى . وهى على أية حال ليست منبعاً ، مشعاً إن سارتر يصور تصور العقل على أنه مظلم ، بليد ، ومتنبه ذاتياً ، بصورة غامضة ، أكثر منه بصورة واضحة . ومع ذلك فانه حتى فى ظروفه اللامتأملة يكون العقل هو الخالق المسؤول ، عن المعنى . لا يوجد هناك معنى يستطيع أن ينفى مجال الوعى ، سواء كان فى العالم ، أو فى النفس . إن معنى جميع الموضوعات هو معنى إنسانى ، ذلك ما أؤكده بطريق مسؤوله . أن جميع الموضوعات غير مصنفة ، سواء بواسطة الطبيعة الخارجية ، أو بواسطة الذات العقلية ، فى وجودى . ذلك أنه لا يوجد ، عقل ، غير واعى ، ولا يوجد وعى ، فى الوعى الغير متيقظ . ومنذ أن وجدنا صدفة فى الأوضاع « المعطاة » لنا ، فان المعانى التى فرضناها ليست معانى تعسفية ، ولكنها تشارك تلك الصدفة . ذلك انه ليس هناك « طبيعة » إنسانية ، ولكن هناك « موقف » إنسانى .

ولقول ذلك فاننا « مسؤولين » عن المقولات التى نستعملها فى العالم الطبيعى ، والتى تبدو مقولات غريبة بعض الشىء ، منذ أن كانت هذه المقولات تأكيداً للوراثة ، وتنتقل بشكل بطىء ، ذلك أنها تنتقل لأول وهلة تحت تأثير العلم . (يجب أن نأخذ ، بعين الاعتبار ، كيف أن مفهومنا للون ، يتغير تدريجياً ، تحت تأثير الطبيعة ، المألوفة) إن « المسؤولية » ، بالنسبة لهذا الانتقال ، كما هى ، بالنسبة للألف معنى التى لا تنتقل ، يجب أن تبدو مجمعة ، أكثر منها فردية . وسارتر يفشل فى تأكيد قوة وجهة نظرنا ، الموروثة ، المجمعة للعالم ، سوى أنها تظهر فى شكل ضرر ، إجتماعى ، كما أنها تشير إلى « سوء الطوية » (إن سارتر

twitter @baghdad_library

فى النهاية يعتبر جميع النظرات الاجتماعية اللا متأملة ، وكأنها فى سوء الطوية) . إن سارتر فى وضع غير مريح ولا يمكن تجنبه ، بالنسبة لفيلسوف التركز الذاتى ، الذى لم يقم نظرية عالمية للذات ، ذلك أن سارتر ، يهمل وضع « المعانى » الموضوعية المحددة ، بشكل عام .. تلك المعانى التى يؤمن بها الفلاسفة الأنجلو ـ ساكسونيين ، والذين أولوها كل تمنياتهم . ويرغب سارتر فى أن يفكر ، بالمعنى على أساس أنه ألوان العالم الذاتية ، الثرية ، ومن ثم أبعاد الفلسفة الفردية ، الذاتية . إن ما يريد أن يميزه سارتر ، هو الرؤيا العاطفية الموحدة ، الرؤيا العلمية فى متابعة المعنى ، بطريقة عالمية . ومرة أخرى ، فان اللون الدرامى لنظرية سارتر ، يأتى من الأمثلة المفهومة ، بطريقة سهلة ؛ للصراع الشخصى .

إن نظرية سارتر ، بالنسبة لوجهة معنى الفرديه الذاتية تثير مشاكل الجانب الآخر . فسارتر لم يقع فى خطأ اتهام كيركجارد لهيجل ، كما أنه لم يقع فى خطأ مشابه له فهو قد عزل الذات ذلك لأنها تخدع الآخرين ، لا أساس أنها موضوع المعرفة ، بصورة خاصة ، ولكن على أساس أنها موضوع وجد ليكون ممارسا ، ومخيفا ، ومتخيلا .. إن سارتر ليس فيلسوفا عقليا ، ولكنه صاحب فلسفة ، فردية ، ذاتية ، متخيلة . وهو يقيم علاقتنا مع الآخرين ، بطريقة ، مستديرة ، غير مقنعة . فنحن لا نحترم حرية الآخر ، بصورة مرضية ، كما أننا لا نستطيع التعاون ، بشكل كلى فى حريته ، أو جعله حراً ، ومن ثم نحاول وضع العراقيل فى طريقه .

twitter @baghdad_library

ولعل هذا السقوط هو السبب الجذرى للشعور بالإثم ، والخطيئة. فسارتر يحلل ظاهرة الحب ، على أنها حالة خاصة لهذا الإحباط . إن الحب واحد من الأشكال التى بها نستطيع أن نلمس صلابة الوجود ، تلك الصلابة التى تنبع من نظرة الحبيب العميقة، لحبيبته. ذلك أن العلاقة التى يشعر بها المحب تملؤه تماماً ، بالأحكام ، والتبرير « فالحب ضرورى لكى يستحث المرء على أن يكون محبوباً » ، ولكن الحبيب يريد نفس المشاعر التى يحس بها المحب ، وهو فى نفس الوقت حراً فى امتلاك ذاته فى أية لحظة . وإذا حاول المحبوب السيطرة على الحبيب لكى يشعره ، بإعجابه له ، فإن هذا من شأنه أن يحطم قيمة الاعتبار ، التى هى فقط قيمة يجب أن تعطى بحرية . وإذا حاول المحبوب أن يقوم بعمل إيجابى ما ، قبل الحبيب ، فإن الأخير يظل غير راض عن ذلك . إن الحب المتبادل بناءا على ذلك مقلقلاً إذ لم يكن مستحيلا ، كما أنه يتجه ، بطريقة حتمية نحو إرضاء السادية Sadism، أو الماسوشية Masochism (التسلط المتنوع) .

يقول سارتر بأن الصورة الذهنية ، غير كافية ، لأنها عبد للوعى كما أنها لا تشبه موضوع الإدراك اللا مستنفذ ، إنها فقيرة ، ومسالمة ولا تحوى شيئاً غير ما أضمنها إياه . وسارتر يفسر الحب حتى فى أكثر حالاته حرارة ، وقوة، على أنه معضلة خيالية . كما أنه يتبع هنا، بطريقة متزمتة ، مفهوم هيجل فى أهمية استبعاد الوعى للآخرين ، والذى صوره هيجل فى « السيد والعبد » فى باب « الفينومينولوجيا » . إن سارتر يحقق ذاتية الصورة فقط ، بينما يترك الإشارات إلى العمل .. إلى المظهر

twitter @baghdad_library

« الحقيقى » للاستعباد . . فى حين أن تحويل هيجل هذا لتحرير العبيد قد جاء بطريقة عرضية . إن عشاق سارتر مشغولون دائماً ، بالتأمل الدائم ، لموقف الآخرين، كما أن مشاريعهم مناسبة،وعذابهم هوعذاب الخيال . يقول بروست proust بأن ما استقبله فى الحاضر لذات المحب هو موضوع سلبى ، طوره أخيراً . وهذا يعطى ماهية الموقف . ذلك أن سارتر يتصور بأن المعركة ملتزمة ، بصورة مباشرة ، أكثر من هذه الصورة المتقدمة .

هناك تقدير سيكيولوجى ، يقوم على أساسه تقسيم الحب على أنه مجدد بطريقة غريبة .

ولعل سارتر يعنى بقوله « إن التمييز الوجودى كفرد » يبدو بعد ذلك مختلفا فى شكل غير ضرورى ، ذلك أن تمييزى كحقيقة مجردة هو بالنسبة إلى ما يحتج عليه هيجل .

إلى ماذا يتوق الإنسان طبقا لنظرية سارتر ؟ هل يتوق إلى كونه متأملا بطريقة خيالية من قبل الآخرين ؟ إنها الرغبة التى تحبط عن طريق الطبيعة ، المتبادلة للطلب ، وعن طريق الوحـــدة ، والفقر الضرورى للخيال .

إن محبين سارتر هم خارج العالم ، ومن ثم فإن صراعهم ليس صراعا مجسداً .

ليس هناك اقتراحا ما فى نظرية سارتر يقضى بارتباط الحب ، بالعمل ، وبالحياة المعاشه ، ولعل هذا من جانب آخر ما يبدو معركة قائمة بين الماهيين فى غرفة مغلقة .

twitter @baghdad_library

إن خيال سارتر — الذى هو فى النتيجة يحقق الشخصية مع الوعى — « مميزة ضرورية » للوعى . . إن الخيال هو التحرر والاستعباد . أنه « قوة توضيح الأشياء فى مسافة ما . كذلك فإنه ميل نحو الافتتان الذاتى . . إنه القصور الذاتى ، للوعى . إن وجهة نظر الخيال هذه ، تعتبر أساساً فى إساءة فهم سارتر ، لكل من التأمل ، والفعل . . ذلك أن أى لحظة خيالية ليست عقدة ، محلولة ، معطاة . . إنها غرور ذاتى ، وحيلة ذاتية واقية للوعى . وعلى هذا ، فان سارتر يعتبر العاطفة كذلك . وسارتر لا يعتبر المشاكل مثاره ، سواء من قبل العواطف الحقيقية « المبررة » ، أو من قبل العواطف الخيالية « الطاهرة » . ذلك أن سارتر يعزل العاطفة عن العالم ، باعتبارها حركة طفولية مستبدة ، كما أنها كبح للحرية ، وهى أخيراً كوميديا ما .

إن وجهة النظر هذه ، أحجار عثرة ، فى طريق تقدم نظرية سارتر فى الفن . ففى نهاية كتاب « المتخيل L'Imaginaire » حيث حاول سارتر لمس هذا الموضوع . قال سارتر « أن التأمل الجمالى ، مثير للحلم » . وهذا التعريف للخيال يظهر ، بصورة حرفية ، وكأنه اضمحلال للحرية ، إنه تجريد أو سحر للوعى . وعلى ضوء مقال سارتر « مقاله فى العواطف » يبدو واضحاً ، بأن الفنان يجب أن يظهر فى حالة كونه غير متأمل ، وكأنه العبث الهارب (روكنتان عندما كان يكتب حياة ماركيز دى روليبون) أو يبدو متأملا ، وكأنه ملتزما ، بمشاريع ، ميتافيزيقية ، مبهمة (روكنتان فى مظهره الأخير) . إن سارتر لا يميز العاطفة على أساس أنها قوة ، خلاقة ، حقيقية ، أو على أساس أنها جزء من التجربة الجديدة .

twitter @baghdad_library

لقد عالج سارتر مشكلة اللغة ، على أساس أنها مظهر أساسى ، للوجود من أجل الآخر . وحالما يوجد آخرون ، فالشى ء الذى يلاحظنى ، ويفسر مشاعر سلوكى هو اللغة (الوجود والعدم ص ٤٤٠) . إن اللغة مظهرى الذى يفتح لى آفاقا من التفسير . إن الحقيقة الكبرى للتعبير هو أنها Le Fait même de L'expression est une vol de pensée اختلاس للفكر كما أن اللغة يمكن أن تكون أيضاً حصناً لحمايتى . وفى مثل هذه الظروف الأولية ، فان الاتجاه نحو اللغة ، سيكون نحو الطابع الافتراضى أو الطابع الضلالى . وعندما يأتى سارتر ليزخرف ، ويأنق نظريته فى علم الجمال ، فى كتابه « ما هو الأدب ؟ » ، فإنه يعدل هذه النظرة ، ويضيف نتيجة برجمايته أكثر وضوحا ، ولكن ليس ، بشكل أساسى .

إن اللغة « والعاطفة ، بصورة تخمينية » يمكن الآن أن تؤدى ، إلى بناء تصبح من خلاله متاملة « الشعر » . أو من الممكن لكل من اللغة ، والعاطفة أن تعيدنا إلى الوراء بعد اللحظة المتأملة حيث عالم العمل « النثر » . إن أى لذة ، فى الحالة الأخيرة ، التى تقدمها لنا اللغة ، ستكون مرتبطة ، بإدراكنا للشخصية « الملتزمه » العملية أو مرتبطة بالكتابة .

- إن سارتر كان قد عزل كل من التأمل ، والفعل . ذلك أن التأمل هو افتتان ذاتى للخيال . (إن الاستعمالات المتأملة للغة ، سوف تتجه لأن تكون كاذبة) ، فى حين أن الفعل Action ، هو العالم اللامتأمل للأعمال . وبين كل من الفعل Action ، والتأمل يوجد ارتعاش للحظة المتأملة . إن المحبين فى أعمال سارتر آمنين ، لا بواسطة انخراطهم فى فعل العالم العام ، ولا بواسطة نقاوة خيالهم ، ذلك أن تخيلاتهم

twitter @baghdad_library

مخدوعة ، وكأنها القصور الذاتى الأنانى . (إن تناقض الوفاء الخلاق Fidelité creatrice ، فى رأى فيلسوف كارسيل يخدع الخيال الجميل) ولكن سارتر الآن ، بحاجة إلى روح خيالية ، متجددة ، لكى يلحقها بعالم العمل من أجل نظريته فى الفن والسياسة .

إنه من الواضح على أية حال أن الطريق الوحيد لتجدد الروح المتخيلة هو إلحاقها بعالم الفعل . إن الحب ليس عقيما ، لا بسبب أننا نعايشه ، بطريقة مسرفه فى الخيال . ولكن لأننا نعايشه بصورة مسطحة . وماركس لم يرفض النظرية ، ولكنه أكد ماهية نظريته عندما قال ، بأنه لا يريد أن يشرح العالم ، بل يريد أن يغير العالم . والسؤال الآن هو ، هل يستطيع العقائدى ، أن يفكر بطريقة سليمة مثل جامع الضرائب(١) ؟ إن سارتر يفكر على هذا المستوى ، فى كتابه « الوجود والعدم » ذلك أن سارتر مثل كيركيجارد يقف ضد البرجوازية ، وضد اللا محدودية إن إنسان سارتر يتحرك ، خلال المجتمع الذى يجد فيه المزيف ، والغريب ، ولكنه يتحرك بدون قيام الوجود العقلى ، ومثل هذا الإنسان لا يكون فى هذا العالم الاجتماعى ، ذلك أن حريته نقطة غامضة ، تلك الحرية التى لا يصل اليها مطلقا . وفضيلة هذا الإنسان تقوم على فهم كونه على أنه صدفة ، من أجل ادعاء الفضيلة . وليس كون العالم صدفه ، من أجل تغيير الفضيلة .

---

(١) إن العقائدى بالنسبة لكيركيجارد يحمل صفات مرئية بطبيعته . إنه « مثل الجانى » (الخوف والرعب ص ٥٣) .

twitter @baghdad_library

إن الفضيلة تبدو، وكأنها ما يبرر وجود هذا الإنسان، وهذا بالضبط هو النبل المزيف ، ذلك أن الفضيلة قائمة على أساس أنها من قبل معنى مطلق . وسارتر يرى أن انفصالنا ، وشوقنا فى بعض الأحيان قائم على أساس أنه نقص وعيب ، وفى بعض الأحيان يكون مثل السر المغلق، ليس غنياً ، مثل مفهوم مارسيل ، ومتألقا مثل مفهوم برديف له . إن وجهة النظر الخارجية، بالنسبة للعقل ، ووجهة النظر التاريخية ، والعلمية هى وجهة نظر الإيمان الزائف . والعقل يجب أن يكون مفهوما من الداخل ، وفى نطاق العالم ، حيث تختفى الموضوعية مع عين الله ، ذلك أن العقل يجب أن يكون عملنا من أجل أنفسنا . ذلك إن المشهد يجب أن يظهر ليكون ما قاله لوكاس ، وما أسماه فى جملته الرائعة بالكرنفال الدائم للفاشستى الداخلى للفكر الغربى (١) . وسارتر يقترح فى « الوجود والعدم » ، الطريق إلى الخلاص من الأزمة الروحيـــة التى وصفها لا من خلال الفن ، أو اللاهوت ، ولكن « بالرجوع إلى الوجود » الذى سوف يحدد قيمتها. على أن سارتر، لا يظهر هذا الطريق على أساس أنه تجدد للكمال الحقيقى ، لبطله ، فى الحياة الاجتماعية .

إن إنسان سارتر يبقى فى مرحلة التفكير فى نفسه ، بصورة دائمة . وعلى أية حال فهو إنسان واضح ، ذلك أن السبيل إلى خلاصة هو الفعل . والفعل بالنسبة لسارتر يعنى السياسة . ذلك أن وحدة الجسد ،

---

(١) وجودية أم ماركسية ؟ — ص ٩٠ .

twitter @baghdad_library

والروح تأتى عن طريق السياسة ، لا عن طريق الحب ، كما يؤمن سارتر. إن سارتر قد دخل ميدان السياسة ، من وجهتى نظر: فهو فى البداية قد اقترب من السياسة ، كحل فلسفى ، للمعضلة الفردية الذاتية ، ومن ثم التقى معها ، على أساس أنها دعوى ، عمليه ، بالنسبه ، للديمقراطية الغربية . ونحن نجد فى نفس سارتر ميل إلى كل من مفهوم التمركز الذاتى للحياة الشخصية ، وللنظرة السياسية ، البراجميتة النفعية ، التى يؤمن بها الغربيون ، على أساس أنها عبارتين مختلفتين فى تفكيرها .

ومنذ أن كان سارتر فيلسوفا ، ميتافيزيقيا ، فقد رغب فى التحام كل من الطريقين فى نظرية الفعل . لقد جمع سارتر كل منهما كما رأينا ، بطريقة غير سليمة ، ذلك أن نظرية العقل مستوحاة من عدم الثقة فى التأليه ، المثالى ، للعقل ، والمعرفة . إن التأمل النقى ليس شكل المعرفة ، ولكنه حركة مستمرة ، للروح التى تصبح شريرة فى وضع أصبح ساكناً على الدوام . والعقل الذى يؤمن به سارتر ، ليس عقلا منفعياً أو غامضاً . إذ ما هو الشىء الحقيقى فى الإنسان ، هل هو الموجه الكبيره المستمرة ؟ ولكن سارتر من ناحية أخرى يبدو قلقاً جداً على المعنى ، التاريخى ، ليصرح نهائياً ، بأن الحرية هى أساس الإقناع ، أو الاندفاع الذاتى للحقيقة . إن سارتر يملك آراءاً محددة ، حول الحرية ، السياسية ، إنه بحاجة إلى إعادة تقديم وجهة نظر موضوعية . وهو يعمل هذا عن طريق وجهة النظر الكانتية فى الأخلاق ، التى تجعله قادراً ، للاتجاه نحو المذهب النفعى .

إن وجهـــة نظره (التى عبر عنها فى « الوجودية مذهب

twitter @baghdad_library

إنسانى »)[1] هى إذا أردت الحرية لنفسى ، فأنا أريدها، بالضرورة، وفى نفس المعنى للآخرين ، وهو بهذا يذهب وراء كانت ، ذلك أن كانت لا يعين بالضبط المطلب الفلسفى للعقل الذى يجب أن يعامل الإنسان فى أية حالة خاصة على أنه غاية .

إن فلسفة سارتر تشمل ، بالطبع شيئاً من البراجماتيه ، ذلك أن وجودنا هو ما نفعل ؟ وإن عالمنا هو عالم الأفعال ، وهذا العالم مرتبط بالسياسة وحدها . ذلك أن سارتر يستطيع أن يدرك القيمة العالمية لهذا العمل ، والذي خلافاً لذلك يبقى سر المشروع ، الفردى . أنه فى هذه النقطة بالذات النقطة التى بها يعالج الفردية بواسطة التحرر الإنسانى المثالى من الطغيان ، يستطيع أن يدرك القيمة التى سوف تعطى المعنى لمختلف نشاطاتنا ، وتربط هذه النشاطات بعضها ببعض . على أن سارتر لم يعمق هذه النقطة . فالخلفية الميتافيزيقية، بحاجة إلى أن تكتمل فلسفيا. وسارتر لا يعتقد فى الذات الكانتية التى هى ذات من ذواتنا بالتأكيد ؛ ذلك أن المشروع الذاتى الراسخ الذى أقيم ليكون ماهية النفس ليس بحاجة إلى أن يصبح (إذا اتبعنا « الوجود والعدم ») محسوسا ، فى شكل المذهب ، التحررى العالمى . وسارتر من ناحية أخرى ، لا يملك مفهوما للسببية ، التاريخية ، أو الغير إنسانية ، وهو بحاجة إلى أن يقيم نظريته المنفعية فى شكل مشابه للنظرية ، الماركسية .

إن العمل الذى تبناه سارتر لربأ الشرخ الروحى ، ليس مفهوماً مجدداً لأعمالنا اليومية (مثل اضفاء روحانية العمل ذلك أن سارتر يجب

---

(١) وهذا ظاهر بشكل أوسع ، فى أعمال سيمون دى بوفوار .

twitter @baghdad_library

أن يحكم ، ليكون مستحيلا فى المجتمع البرجوازى) كما أنه ليس منهجاً موثوقاً به ، بالنسبة للنشاط الثورى . إن عالم سارتر يفتقر إلى النظرة التاريخية ، الفاحصة ، كما أنه يفتقر إلى الشكل الرزين كذلك . والمستقبل الذى يبدو لسارتر مستقبلا حقيقيا ، هو المستقبل المعاش المشروع الفردى . ذلك أن الواقعية ليست موضوعا مناسبا للمعرفة الوجودية ، التى تستطيع أن تكون متفاعلة ، بطريقة علمية ، كذلك ، وكأنها عاملا كبيراً فى إقامة الخير العام . وعلى ذلك ، فإن سارتر يظل فيلسوفا ، نفعيا ، بشكل صلب ، يتطوح على جوانب المذهب البرجماتى اللامسئول، ذلك المذهب التى تقوم علاقاته ، بالإلتحام مع عظمة «التجربة» الرومانسية فى القرن التاسع عشر .

وسارتر يرفض مجتمعه الخاص ، قائما ضمن تركة المعانى ، كما يطالب المتأمل الثورى ، بمقاومة هذا المجتمع . على أن سارتر يعلم ، كما يعلم أى فيلسوف عقلانى ، بأن التأمل العابث يمكن أن يتعفن . لقد أدرك سارتر أيضاً الفكرة التى تقول ، بأن التفكير يجب أن يكون نقياً ومبرراً عن طريق تكامله مع نسق الحياة المطرد . ولكن منذ أن رفض سارتر لا المجتمع فحسب ، بل الدين أيضاً ، لم يكن هناك طريق للحياة التى تقدم له إمكانية الحنين لالتحام الفعل مع الروح . وهناك فقط متابعة ، هامشية ، مضطربة لفكرة الحرية التى تبدو بصورة حتمية ، ساقطة ، فى الفساد حالما تأخذ فى تشكيل التحقيق السياسى . أن هذا التفكير المضطرب مسيطر عن طريق المعنى ـ الذى يستطيع ، قليل من العقلانيين أن يبعدوه عن تفكيرهم ـ التاريخى الوقتى للرأسمالية فى شكلها

twitter @baghdad_library

الحاضر . إن هذا الوضع قائماً ، وهو كما وجدناه عسيراً أما لكى يكون وضع أصحاب المذهب الثنائى المدرك، أو ليكون وضع التجريبين البسيط وصورة سارتر للوعى على أساس أنها Totalité détotalisé يمكن أن تكون فكراً يشبه نوعاً من الأسطورة لحالتنا . يبدو إن الروح قد هجرت وضعنا الاجتماعى وتعلقت فى الهواء ، ثم خلفت العواصف الأيدلوجية . والمشكلة هى كيفية إعادة الروح ، ثانية إلى حياتنا المعاصرة . إن الماركسيين الذين ينادون لتحقيق المجتمع حيث الفعل ، والشكل المؤمن وحده يبدو محسوساً ، يقومون بتشكيل المجتمع ، كما يبدو لنا بناءا، شاهقاً للتكامل الفردى . إن المعنى المضطرب ، لتقدير هذا التكامل يبقى بالنسبة لنا ، وكأنه وسيلة للإيمان ، كما أن هذا التكامل يوجد التعبير أيضاً فى فلسفة سارتر .

إن سارتر بصورة كاملة يصف موقف الوجود الذى يجرد الحقائق العامة على أنه معذب ، بالطموح المطلق . وإذا كان هذا يبدو ليكون استكشافاً لوضع معاصرين سارتر، فأنه لايبدو المرة الأولى التى تكتب فيه الفلسفة على هذا النمط . إن سارتر فيلسوف إنسانى بما فيه الكفاية ، وهو إنسانى من أجل إيجاد هذا الطموح ، الملموس ، والمرغوب فيه ، كما أنه رومانسى ، بما فيه الكفاية ، لمزيد من المتعة ، تلك التى تبدو غير مثمرة ، وهو أخيراً فيلسوف سياسى بما فيه الكفاية ، إلى حد تقديم تناقض منهجى للغايات العملية المباشرة . إن فلسفة سارتر ليست بالضبط فلسفة ، رومانسية ، غير مسؤولة . إنها تعبير عن الانتماء الأخير لقيمة الفرد ، معبرة تعبيراً فلسفياً . وسارتر يعتبر فيلسوفاً

twitter @baghdad_library

قدم عملا تقليدياً ، ذلك أنه فيلسوف متألم ، بطريقة منظمة ، وهو فى نفس الوقت فيلسوف يتأمل الحالة الإنسانية . إنه من الممكن أن يقال بأن الفلسفة توسيع ، وتعميق المعرفة الذاتية للجنس البشرى. ومثل هذا التعريف لدور الفلسفة ، سوف يشمل كل من التحليل ، والميتافيزيقيا. ماهو دور المحلل الشخصى للوعى ، الخاص ، للفردية ؟ ذلك أن الفيلسوف الميتافيزيقى ، يعمل من أجل الوعى العقلانى للمجموع ، كما أنه يؤرخ لدور الوعى التاريخى ، ويوجد الهيكل المذهبى الذى يعتبر مساعداً للإدراك . إن جواب هؤلاء الذين يرغبون فى استعباد الميتافيزيقيا ، جواباً أخلاقياً : ذلك أنه من الواضح بالنسبة للمذهب العقلى عمل مثل هذا المجهود ، الخاص من أجل الإدراك الذاتى .

إن تأثير مثل هـذه المحاولات ، سـواء كانت من أجل الخير ، أو الشر ليست محدودة ، بالنسبة للجماعات القلقة ذلك إن هذه المحاولات ، واضحة جلية من خلال تاريخ الفلسفه .

twitter @baghdad_library

مشكلة اللغة

لقد حاولت، أن أبقى على ما أريد أن أقوله عن سارتر، لأقوله من خلال رواياته . وبالرغم من أن سارتر فى فرنسا أكثر وضوحا ككاتب مسرحى ، منه كروائى ، فإن رواياته تشمل مادة أكثر عمقاً لدراسة فكره . إن روايات سارتر تكشف بوضوح كبير كل من البناء العام لفلسفة «الغثيان» واهتمامه المفصل، بالعالم المعاصر (دروب الحرية) وأنا أريد الآن فى النهاية ، مناقشة نظرية سارتر فى الأدب الملتزم ، والحكم عليه كروائى . من الواضح أن الرواية ، والرواية الخالصة ، بالذات ، هى تصوير لعلاقة الناس بعضهم ببعض ، كما أنها تصوير للقيم الإنسانية .

ونحن هنا نجد ناقدا حديثا مثل ف ر. ليفيس F.R. leavis يركز اهتمامه على هذا المظهر للرواية، ويطلب من الروائى أن يكون مرتبطا مع الموضوعات الهامة. وكذلك أن تكون معالجته العامة ،لهذه الموضوعات تتسم « بالطابع الأخلاقى المدرك » .ما هو معنى « الرشد » . . هل هو بعض الأفكار التى نعرفها عنه وهل هو الذى يستطيع أن يكون قائما فى

twitter @baghdad_library

تفصيل حالة أى رواية خاصة .إن هذه الاعتبارات سوف تشكل جزءاً كبيراً من تقديرنا للرواية ، على أساس أنها عمل أدبى ، ولكنها فى نفس الوقت لن تكون كافية لكى نعلم ، بأن الروائى يملك وجهة نظر هامة ، ومدركة ، بالنسبة للقضايا الإنسانية . ولنعلم أيضاً وجهة نظر الروائى من خلال قراءة رواياته ، ذلك أن حكمنا على الروائى سوف يكون معتمداً على « كيفية » تجسيد وجهة نظره هذه فى العمل الأدبى ، بالرغم من أن وضعها خارج العمل الأدبى ، وخارج دائرة التجسيد الفنى ، يعنى ضياعها وفقدانها . إن سارتر يستطيع بصورة خاصة أن ينفى عن نفسه طابع فقدان الأهمية ، والرشد الأخلاقى . ولكن ماذا نعرف عن مفهوم سارتر الأخلاقى من خلال الروايات ، وكذلك ماذا نعرف عن فكره المحسوس ؟ إن العمـــل الأدبى ، الحديث ، الذى أريد أن أقارن به « دروب الحرية » هو ثلاثية « القريب والبعيد » The Near and the far تأليف ل . هـ . ميرس . L.H. Myers .

إن هذا العمل الأدبى العميق يناقش عدداً كبيرا من المشاكل الدينية والفلسفية من خلال مجموعة من الشخصيات ، التى تمثل الإيديولوجيات الخاصة . ومع أننا نشعر بأن الشخصيات تترك لكى تبنى أفكارا ما ، ونشعر أيضاً بأن اللون مطبق عليها بصورة خارجية ، وفى جو أخلاقى منمق ، بالرغم من هذا كله ، فإننا قد تركنا المعنى . ذلك أن هذه الكتب ليست روايات ، بالضبط ، فالتحويل الخاص للأفكار الحاضرة لم يحدث . وهـــذا ما نشعر به عند قراءتنا « لدروب الحرية » . إن سارتر يجب أن يكون مدركا لهذا ، ذلك أنه يقرب الأدب من الأسلوب الفيزيائى

twitter @baghdad_library

والأدب من وجهة نظر سارتر قاصر ، لأنه يفصل بين الكاتب والحياة. الحياة التى تعرض نفسها ، سواء فى كراهيتها للغة ، أو فى الامتصاص اللغوى من أجل ذاتها .

إن الكاتب الآن قد قاوم ليعيش ملتحما مع العالم ، بإثبات مكانه فى « المواقف الحرجة » . والأدب بالنسبة للكاتب هو نقاء اللغة ، بتأكيد دورها ، كوسيط للاتصال . وعندما يناقش سارتر هذه الفكرة فى كتابه « ماهو الأدب؟ » فإنه يوضح الفرق بين الشعر والنثر : فبالنسبة للنثر تكون اللغة لغة داخلية ، أما بالنسبة للشعر فإنها لغة خارجية . إن النثر هو امتدادات لنشاطنا ، ذلك أن كلمات النثر ، كلمات ذات شفافية ، بالإضافة إلى أن النثر وسيلة للاتصال . وهنا « نبدو بأننا داخل اللغة ، مثل كوننا داخل أنفسنا » (صفحة ١١) . إن هذا يجب أن يعرفه الروائى . فى حين أن اللغة بالنسبة للشاعر هى « بنية العالم الخارجى » (صفحة ٦) . فنحن فى قرائتنا للشعر نقف فى مواجهة اللغة ، باندهاش ، فى حين أن النثر آداة ما . وفى النثر تبدو « اللذة الجمالية نقية فقط فى حالة استعمالها استعمالا سليما » (صفحة ١٥) . إن أدب النثر هو الأدب الوحيد ، الذى يريده سارتر أن يكون ملتزما ، كما يريد أن يجعل منه الكتابة الجيدة الكتابة الوحيدة الملتزمة ، ايديولوجياً . إن سارتر يرى بأن كاتب النثر هو الذى يملك موضوعا وحيداً .. « الحرية » يبدو أن هناك موضوعين بالنسبة لدور النثر الأدبى . الموضوع الأول هو أن لغة النثر بطبيعة الحال ، وبصورة واضحة لغة موصلة (على العكس من لغة الشعر) ، وكذلك ، فإن كاتب النثر الجيد ، سوف لا يستعمل اللغة فى أسلوب

twitter @baghdad_library

شعرى، ولكنه سوف يستعملها أداة للاتصال. وأما بالنسبة للموضوع الآخر، فهو منذ عملية قيام الخلق، ومتعة الأدب، كانت عملية الخلق، والمتعة تتطلب طهرا، ونقاوة واضحة للعقل، بالنسبة للكاتب، كما تكون إجابة حرة مشابهة، بالنسبة للقارىء. ذلك أن الأديب يملك اهتماما خاصاً بالمجتمع الحر ويرغب فى تناسق معين، بين نفسه، وبين قارئه، ولا يستطيع أن يكون قلقاً، إلا على رقى ووقاية إمكانية إجابة حرة، من واسع. إن الكاتب الجيد بطبيعة خلال المجتمع، بشكل الحال هو كاتب تقدمى.

إن الاختلاف، بين الشعر والنثر يبدو واضحا من خلال النظرة الأولى. ولكن ماذا يعنى هذا الاختلاف، بالضبط. إن هذا الاختلاف، يبدو قائماً عند قراءة القصيدة «فنحن نقف عند الكلمات»، متسائلين عن دلالاتها. فسارتر يقول، معلقا على نبذة لرامبو «إن الاستفهام يصبح شيئاً ما كما يصبح عذاب تنتوريتو Tintoretto سماءا صفراء، ذلك أن هذا ليس المعنى، ولكنه المادة» (صفحة ٩). إن الصورة التى تفرض ذاتها هى صورة اللغة، التى تبدو مثل المادة المعتمة المتحجرة من أجل أن تكون متأملة لذاتها فقط، أو تكون أيضاً مثل الزجاجة الشفافة التى ينظر من خلالها المرء إلى العالم، أو تكون أيضا مثل الأداة التى يستعملها المرء، ليدفع بها شيئا ما. وبعد، فما هى الطبيعة الغامضة التى يشتمل عليها الشعر؟ إن المرء يستطيع أن يظن، بأن الفرق بين الشعر، والنثر كان ببساطة، بين شىء استدلالى، ولا استدلالى، بين موصل، ولا موصل، فى استعمالات اللغة. ومع ذلك إن هذا فى ذاته

twitter @baghdad_library

ليس اختلافاً كبيراً . فمن الممكن أن يكون الشعر فى كثير من الحالات موصلا ، واستدلالياً (مثل الشعر الانجليزى فى القرن الثامن عشر) ، ومن الممكن أيضاً أن يكون سفسطة للتفريق بين المضمون المتصل ، والشخصية الشعرية للكتابة . إن كثير من النثر من ناحية أخرى ، يملك صفات شكلية ، ومضمونية ، كذلك فانه يؤثر فينا ، وكأنه بنية لغوية قامت بشكل خارجى (لاندور Landor دى كوينسى de Quincey ومن ثم توماس براون Browne) . وإذا كان الاختلاف ، هو اختلاف بين الصورة البلاغية والصورة المكثفة ، وبين الاتجاه المستقيم ، فإن هذا يجب أن يبعد ، ليفصل بين وسط كل من الشعر ، والنثر . إن هناك شفافية للبساطة وهى ليست بالطبع كشفافية المنفعة . ذلك إن بعض النثر يحوى ، على كميات كبيرة من الصور الغامضة المتخيلة ، ولكننا فى نفس الوقت ننزلق مع سهولة القصيدة الجميلة متجهين نحو الفكرة الشعرية . إن لغة هوبكنز Hopkins لغة غامضة ، فى حين أن لغة ورد زورث لغة شفافة .

إن « شيئية » القصيدة التى يميل المرء إلى تسميتها بمادة القصيدة أكثر من كونها معنى ، لا تبدو أنها تعتمد على غموض ، وتعقيد اللغة ، أو على الفهم الذهنى ، لأشكال الجدل ، والتى تعتبر جزءا من الاستمتاع بها ولغة الشعر يمكن أن تكون شفافة ، واستدلالية ، فى نفس الوقت الذى يمكن أن يكون فيه النثر ، سواء كان أدبا أم استعمالا يوميا ، غامضا ، وبلاغيا . إن أحكام الانفصال ، وكذلك المادة الشعرية لا تستطيع أن تكون منعزلة ، بأى شكل عن اللغة ، سواء أكان من الداخل أم من

twitter @baghdad_library

الخارج . والمادة الخام للغة هى وظيفة مناسبة بشكل جمالى ، لخاصيات القصيدة . ونحن هنا نتساءل عن (التصور ، المفردات ، نظام الكلمات ، الفكرة ، الحركة ، المناقشة) إن هذه جميعاً تتبدل ، وتتنوع طبقاً لماهية الشعر ، أو القصيدة ، بوجه خاص ، وإن ما يجعل القصيدة منفصلة ليس بالضبط كيفية استعمال اللغة فيها ، ولكنه نوعية تكاملية التفكير الشعرى ، المجسد فيها . (إن القصيدة السيئة هى ذات مادة محتواه ، بصورة ، غير واضحة) . ولكن إذا كان هذا ما يعطينا إحساساً برؤية الشيء من الخارج فهل يمكننا أن نقول بأن أنواعا معينة من الأعمال الأدبية ، النثرية ، ترى بشكل مشابه ، للأعمال الشعرية ؟

إن الاختلاف يجب أن يكون الآن كما التالى : ليس بين الشعر والنثر ولكن بين أشكال لا جمالية ، واستعمالاتها فى أشكال جمالية منظمة . إن اللغة التى نحن فى داخلها ، بصورة كلية ليست لغة النثر عموماً ، لكنها بصورة خاصة الأحاديث العملية فقط . ولغة النثر الأدبى ، من الممكن أن تكون لغة شفافة ، ذلك أننا نتأمل المعنى أكثر من تأملنا لصوت ، ونظام الكلمات . ولكن هذه اللغة ليست هى اللغة التى نستعملها ، وهى فى نفس الوقت ليست أداة ، أو تعبيراً عن أنفسنا . إنها اللغة المنظمة ، بشكل مقصود ، على أساس أنها تجسد قبلنا بعض الصور ، والأفكار الملتزمة من الداخل . إن الحديث العادى ، من ناحية أخرى ، يمكن أن يكون ، فكرا شفافا ، ليس فقط فى حالة عدم الانتباه إلى الخاصية اللفظية ، ولكن على أساس كون اللغة مفيدة .

إن اللغة غالبـــاً ما تفعل ما يمكن أن يساوى ، عمل الأصوات ،

twitter @baghdad_library

والأشكال والصور، عندما تكون المادة التى تعبر عن اللغة ، تحقيقاً ما . إن اللغة رعاية الأشياء فى العالم . إنها تغير مجرى الحدث كما أنها تثير المشاعر ، وتوصل المعلومات .

وسارتر الآن ، لم يناقش ، بوضوح ، موضوع أن الأدب النثرى يجب أن يعتبر نفسه ، الممارسة ، النفعية ، النقية ، كما يعتبر نفسه محكوما من قبل قيمة الأعمال المستلهمة . وإذا كان ذلك ، فإن صحف الدعاية ، والاعلانات ، والتقريرات الدينية ، والفانتازيا العاطفية ، تستطيع أن تقف جنباً إلى جنب ، مع الروايات ، والمسرحيات ، العظيمة . إن سارتر يلجأ فى الحالات العامة إلى وجهة نظر اللغة على أساس أنها تشبه أداة متصلة أو على أساس أنها نشاط من بين النشاطات ، الإنسانية ، لتدعم نضاله. ذلك أن النثر الأدبى ، هو بطبيعة الحال ، وبشكل واضح ، نثر أملتزماً Committed . ومع ذلك .. فعندما يأتى سارتر إلى النقطة الأكثر قوة ، والتى نسأل فيها أنفسنا ، عن ماذا يشمل الالتزام .. فإن سارتر يتحول إلى موضوع آخر مختلف كل الاختلاف . ونتيجة لذلك ، فإن النشاط الواضح للكاتب هو تلبية رغبة القارىء فى الحرية ، ونكران الذات ، وتحقيق الحرية للجنس البشرى كله . ولتحقيق هذا كله يجب أن نستعمل اللغة ، بشكل منظم ، ومتأمل ، وباعتناء كامل .. تلك اللغة التى هى ليست اللغة اليومية ، حيث تبدو نشاطا من بين نشاطاتنا العامة ولا هى استعمالها التأملى ، على أساس أنها سلاح من أسلحة الدعاية . إن سارتر يقيم تناقضا مقنعا ، بين اللغوى الشعرى ، وبين العمل اللغوى النثرى ؛ ولكن هذا الاختلاف يبدو أكثر وضوحا ، بعد ذلك ، بين الاستعمالات

twitter @baghdad_library

« التحرريه » المنظمه للنشر ، وبين الاستعمالات الأخرى للنثر التى تحرم سارتر من استعمال قوة الاختلاف الأول ، ليدعم بها مناقشته .

وإذا كان على الكاتب أن يكون «تقدميا» فإن هذا يعود إلى أن طبيعة عمل الفن هو ارساء الحرية ، ومن ثم فإنه من الصعب معرفة لماذا يجب أن يكون «أى» فن مستبعداً ، « فشيئية » القصيده التى استعملها سارتر ، منذ مدة قريبة ، كمثل على انتماء هذا الفن للقضايا الإنسانية ، تبدو لتكون مثلا ، لتحقيق الاستئناف الطاهر المنظم ، الذى اتخذه سارتر ، ليكون عمل الروائى الخاص . ماذا يمكن أن يقال بصورة خاصة ؟ هل يمكن أن يقال ، بأن الرواية ، بشكل خاص — منذ أن كان العمل النثرى الذى يتخذ من المجتمع أو القضايا الإنسانية موضوعاتها — هى الصورة المناسبة، بشكل خاص ، لإقامة اتصالات ، أو توصيات للتنظيم الاجتماعى. إنه بالرغم من وضوح هذة المسألة ، فإن ما ذكره سارتر حول هذه المسألة ، هو أقل بكثير مما سبق ذكره . وإذا كان هذا فوق ذلك كله المظهر المنظم ، للتعبير الجمالى الذى يطمح إلى احترام الحرية ، فإنه عندئذ لا يعمل فقط لاعتبار الكاتب على أساس أنه ملتزم ، بالنشاط التحررى، بلاسبب، ولكنه يبدو عندئذ مفضلا لموضوعات فنية ، على أخرى ، بدون سبب أيضاً . وسارتر يحتاج هنا إلى أكثر من معادلة ، تربط بين « العواطف الطاهرة » التى تتضمنها الكتابة الجيدة ، مع احترام كبير للشخصية الإنسانيه التى يجب أن تملك استئنافات سياسيه ، تقدميه .

إنه من الممكن أن يقال بأن التأكيد المستمر المتامل مطلوب من

twitter @baghdad_library

قبل المشاهد. ليؤكد بناء، وفصل العمل الأدبي، ومن الممكن أن يكون مشرقا ليقارن هذا التأكيد بالتقييم الأخلاقي أو الأفعال المكررة في العقيدة في الدليل الايديولوجي.

وعلى ذلك، فإنه يوجد تناقض مشمول في استلاف خيال امرىء ما (سواء أكان الكاتب، أو الشاهد) من أجل العمل الذي يوافق الطغيان، في نفس الوقت الذي يركز فيه على كلمة الحرية. إننا نعرف معظم الفلسفه العقلانيـــه السارترية المتسرعه في مثل هذه اللحظات ولاتوجد مناقشة قبلية apriori تستطيع عرض ذلك النظام الذي يعتبر إنتاجه الفني العظيم، تحقيقاً شخصياً، مع نظام التسامح الإنساني المتبادل، وهو بصورة خاصة، وبمعنى خاص ماقدمه سارتر للمفهوم الأخير، الذي من الممكن بصورة خاصة أن يكون مناقشاً، ذلك أن الروائي العظيم، يملك دائماً شيئاً ما بالنسبة للأهميـة الاجتماعية. يقول لوكاس، بأن الكاتب تقدمي، بشكل طبيعي، ذلك أنه يملك إحساساً تجاه موقف الطبقة المعذبة. على أن هذه الأهمية وهذه الحساسية تبحث وتحدد فيما يعرضه الكاتب ومن الممكن أن تكون رغماً عنه Malgré lui — وليست، فيما يصرح به، أو يوضحه من أجل التعليم فقط (١).

يقول سارتر، بأنه لاتوجد رواية جيدة. تنادي، بالعداء للسامية. كيف عرف سارتر ذلك؟ ومرة أخرى من الممكن أن يطرح هـذا للنقاش. ذلك أن مثل هذه الرواية، ستكون متناقضة، ذاتياً، لأن الوعي الأخلاقي، والملاحظة العميقة، التي هي ضرورية للكتابة الجيدة،

(١) أنظر كتاب لوكاس « دراسات في الواقعية الغربية » وأنظر الفصل الذي يتحدث فيه عن « بلزاك وستندال ».

twitter @baghdad_library

يجب أن يكونا متناقضين مع المذهب المعترف به . ولكن هذا بعض الذي يجب أن يكون معترفاً به فى الروايات الخاصة التى يجب أن يكون مضمونها — مثل الوعى الأخلاقى — وقد أوجد تحديداً لأشكالها — الروايات — فى الوقت الذى لايكون فيه هذا المضمون ، قد استطاع أن يكون معنى معطاً — سلفاً — فى حدود النظرية العامة ، للطبيعة الإنسانية .

وإذا تركنا النظرية جانباً ، ونظرنا حولنا ، فإننا نجد ، بأن الفن قادر على تحطيم أى قاعده . ذلك أنه من الواضح أن الأدب القاصر ، يتحدى آراء سارتر ، ولعل آخر ماينا قش به (وحتى إذا كان سارتر مصيباً ، فإنه سيكون مزيفاً ، بشكل واضح) هو أن هنرى دى مونثرلانت Henri de Montherlant صاحب الآراء السياسية الرجعية ، والذى يحتقر النساء ، يعتبر روائياً أعظم من سارتر صاحب الآراء التقدمية ، فى كل من الموضوعين . . السياسة ، والنساء . إن النظام الذى يخلق من مونثرلانت كاتباً ممتازاً ، هو نظرته إلى طبيعة عالمه المستقلة ، الناحية اللانقية . ومن الممكن أن يقال بأن هذا هو مامنع مونثرلانت من أن يكون كاتبا عظيما . وحيث يكون الأدب العظيم ، قلقاً أو مضطرباً ، فإننا مطالبين أكثر مما يجب بالإصرار على إيجاد رابط مابين الأخلاق والتطبيق . إن الكراهية ممكن أن تكون موضوعاً كبيراً ، بالنسبة للكاتب الصغير ، ولكن الحب هو الموضوع الكبير بالنسبة للكاتب الممتاز العظيم . فالحب الكبير ، فى أدب كل من شكسبير ، ودستويفسكى ، له وجه قوى موحد . إننا لانصف أدباً ما أو كتاباً

twitter @baghdad_library

معينين ، ولكننا نكشف شيئاً جديداً . أن مفهوم سارتر ، عما ستقدمه الرؤيا المنظمة ، هو مفهوم محدد . فسارتر ، لايستطيع أن يوضح لنا ، بأن إرادة الطبيعة الخاصة ، للفن العظيم ، تقود إلى مافى مجتمع ما من قيمة عظيمة . إن نظرية سارتر ، فى الأدب الملتزم La littérature engagée تظل توصية للكتاب الذين يرتبطون ، بالكتابة فى حين أن هذه النظرية ، ليست تأكيداً ، لطبيعة الكتابة ذاتها .

إن هذه النظرية تعطينا ، على أية حال ، دليلا، على مميزات، ومظاهر سارتر كروائى . فما يريده سارتر من الفن ، هو أن يكون محللا، واضعاً العالم فى نظام ما ، داعياً إلى كل ماهو معقول ، حيث يكون المعقول مقبولا ، أو موزوناً . إن ماقاله اللحن الصغير اروكنتان هو : يجب أن نتألم على وحده ما il faut souffrir en mesure فما هى هذه الوحدة en mesure ؟ هل هى النقاوة الأكيدة التى تقع فى الجانب الآخر من العالم المضطرب ، الذى يخشاه كل من روكنتان ، وسارتر .. ومن ثم هذه النقاوة الأكيدة ، التى تقع فى الجانب الآخر ، من الظلام الذى ينشره بعض الفن . على أن سارتر يصف شيطان الفنان ، على أنه ، لاجبرية الإنسان ، كما أنه عالم الفكر . إن سارتر يملك إحساساً ، بالملل نحو بنية الحياة الإنسانية . . ذلك الإحساس المميت ، بالنسبة للروائى الممتاز . كما أن سارتر يملك من ناحية أخرى إهتماماً معاشاً ، وغالباً مايكون اهتمامنا ، ناقصاً بشكل طفيف.. بتفاصيل الحياة المعاصرة ومن ناحية أخرى أيضاً ، فان سارتر يملك رغبة عاطفية ، لتحليل ، ولبناء نماذج عقلانية ، وتخطيط مشاريع عقلانية . على أن المظهر ،

twitter @baghdad_library

الذى من الممكن أن يساعد ، هاتين العبقريتين — التحليل ، والبناء — فى الإنصهار فى عمل الكاتب . . هذا المظهر غير موجود . . ذلك أن إدراك وحدة الناس اللامعقوله ، أو اللاجبرية ، هو إدراك أسمى ، أو ظاهرة ، حتى فى علاقة بعضهم ببعض . وسارتر يبـــدو جاهلا ، بوظيفة النثر ، ليس على أساس أن النثر نشاط ما ، أو أداة تحليلية ، ولكن على أساس أنه خالق ، للصورة الكاملة ، اللامصنفة .

ولعل اهتمامات سارتر العملية ، هى التى تجعله ظاهرة ، تستحق المناقشة . . فثاليته ليست صمت رامبو ، الحقيق ، ولكنها صمت مالارميه العقلانى . إن سارتر يهتم ، بصورة خاصة ، فيما يسميه « مسرح الموقف The Theatre of situation » وهو يقول ، فى هذا النوع من الدراما ، فى كتابه « ماهو الأدب ؟ » صفحة ٢١٧ « إن كل شخصية سوف لن تكون شيئاً ، إلا كونها اختياراً فى قضيه ما ، وهى كذلك لن تساوى شيئاً ، أكثر من أن تكون ، قضية مختارة . إنه من المتوقع ، إن الأدب ، سوف يصبح ، أدباً ، أخلاقياً ، يعالج مشاكل ما . . على غرار هذا المسرح الجديد — مسرح المواقف — ، على أن الإهتمام ، بالقضايا أكثر من أصحاب القضايا أنفسهم ، ممكن أن يكون مناسباً ، للكاتب المسرحى ، أكثر منه للكاتب الروائى . وأن كون سارتر يرغب فى تكييف الرواية ، على غرار المسرحية الموقفية ، يعتبر من مميزات فلسفة سارتر العقلانية . . ذلك أن سارتر مرتبط ، بالماهيات ، أكثر من ارتباطه بالموجودات . وعلى هذا ، فمن الممكن ، أن يكون المفكر العقلانى ، كاتباً ، مسرحياً (مثل برناردشو ، الذى يشبهه سارتر فى كثير من

twitter @baghdad_library

الوجوه) أكثر من كونه ، كاتباً روائياً . وسارتر ، بطبعه ، كاتبا مسرحيا (وممتازا) أكثر من كونه، كاتباً روائياً ذلك أن كثير، من رواياته (سن الرشد L'Age de Raison مثلا) تصلح أن تكون مسرحية ، مع تغيير مافى بنيتها .. كذلك وجهات النظر العميقة الملتحمة البناء فى « دروب الحرية » لها من إمكانيات كونها «دراما ، أكثر منها عملا روائياً ، مفصلا ومعقداً .

إن الرواية فن عرض الصورة ، أكثر منها ، فن غايته تحليل موقف ما . كما أن طبيعة الرواية ، ومجال عملها — لنستشد بمصطلحات مارسل — هو الغموض أكثر منه مشكلة ما . و موهبة سارتر ، تتمثل ، فى أنها ، موهبة مشخص الأمراض ، الاجتماعية ، ومحلل للشخصيات . . ذلك أن سارتر ، يتألق عندما يشرح الحياة ، ويفسرها أمام أعيننا كما فعل فى «طفولة رئيس L'Enfance d'unchef »وكافعل فى قصته « الجدار Lemur » ، حيث بسط لنا ، حياة فاشتى صغير . إن الروايات ، تعالج مشاكل ما ، وتحلل مواقف ما . . كذلك ، فإن اهتمام الروايات الأول ، قائم على وجودنا ، بصورة أولية . . هذا الوجود ، الذى يتفاعل ، بواسطة الصراعات ، الذهنية ، التى تمثلها هذه الروايات . فجميع الذين شعروا ، بالحرب الأهلية ، الأسبانية ، على أنها حربهم ، وما فعلته من جراح ، هى جراحهم، وكذلك جميع الذين فشلوا، فى تجربتهم ،مع الشيوعية.. كل هؤلاء سوف يقرأون ،ويقدرون مثل هذه الروايات . أما الذين لا يهتمون بمثل هذه القضايا الإنسانية، فإنهم يبحثون عن أشكالهم ، وقيمهم الإنسانية ، فى تصوير سارتر

twitter @baghdad_library

للناس .. هذا التصوير ، الذى يتركهم فى دوامة من الفراغ القاتل .

لقد صنف كيركجارد ، كل من هذين النموذجين الإنسانين: الخادمة ومنظف المدخنة . . كتقسيم الجنس البشرى إلى مراتب ، وأضاف كيركجارد ، بأن مثل هذا التصنيف « خيال ما فى العاطفة » . ولعل هذا هو التبرير الدائم ، للمذهب ، العقلى . إن معادلات سارتر الفلسفية العظيمة ، الغير مضبوطة . . مثل معالات أستاذه هيجل ، تدفعنا إلى التأمل . ذلك أن عواطف كل من هيجل ، وسارتر، ذات جهاز نظرى مذهبى ، تشد هذه العواطف ، إلى تفاصيل ، النشاط ، العملى ، وتقارنه بشكل مناسب ، مع عدم اكتراث هؤلاء الذين يقنعون برضاء تام ، فى ترك التاريخ ، يقوم بدوره دونهم .

إن عجز سارتر عن كتابة رواية عظيمة ، دليل مأساوى للموقف الذى يحزننا جميعاً . ذلك أننا نعلم ، بأن الدرس الحقيقى الذى يجب أن يتعلمه كل شخص ، هو أن الإنسان ، قيمة، ثمينة ، كما أنه قيمة ،متوحدة. ولكن يبدو ، أننا غير قادرين على وضع الإنسان ، فى غير موضعه الايديولوجى ، والتجريدى .

twitter @baghdad_library

أزمة الحرية

تتكون رواية « دروب الحرية » من أربعة أجزاء : سن الرشد L'âge de raison ، وقف التنفيذ Lesursis ، والحزن العميق Lamort dans l'âme وأخيراً الفرصة الأخيرة La Derniére chance وقد ظهرت الأجزاء الثلاثة الأولى فى انجلترا ، تحت عناوين أخرى مختلفة . وكما قلت ، فإن الجزء الرابع « الفرصة الأخيرة » لم يكن قد صدر بعد ، حين كتبت هذا الكتاب عام ١٩٥٣ ، ولكن ظهرت لهذا الجزء فقرات فى مجلة سارتر « العصور الحديثة Les temps Modernes فى شهر نوفمبر، وديسمبر من عام ١٩٤٩ .

إن « سن الرشد » تهتم بالدرجة الأولى ، بتصوير بحث ماثيو عن النقود التى يدفعها ثمناً لإجهاض عشيقته مارسيل . وقد دارت أحداث هذه الرواية عام ١٩٣٨ . أما « وقف التنفيذ » ، فتصور أزمة ميونخ فى حين أن « الحزن العميق » تصور سقوط فرنسا . والرواية « دروب الحرية » تتبع خطاً واحداً خلال الأجزاء الثلاثة .

إن « دروب الحرية » تعتبر دراسة لمختلف الطرق التى يسلكها الناس

twitter @baghdad_library

فى تأكيد ، أو إنكار حريتهم ، عن طريق الجهد الدائب ، نحو كمال الوجود الثابت ، ونحو الثقة بالذات . . وهذا الجهد هو الذى قال عنه سارتر فى « الوجود والعدم » إنه جهد مميز للوعى الإنسانى . وقد صور هذا الجهد فى رواية سارتر الشهيرة «الغثيان» . إلا أننا فى «الغثيان» نرى الصورة الفارغة للمشروع الانسانى ، بطريقة مجردة كما لو كان هذا المشروع معلقاً فى الهواء . . بينما « دروب الحرية » تجعلنا نشاهد بطريقة تصويرية ، أنواعاً من الأساليب التى يتخذها الناس لتحقيق المشروع الانسانى تحقيقاً ، واقعياً .

إن سارتر يدرس ، بإسهاب مايظن أنه نماذج رئيسية ثلاثة للوعى الانسانى ، وهذه النماذج هى العاقل (ماثيو) ، والملحد (دانيال) ، والشيوعى (برونيه) كما يقـــدم سارتر فى هذه الرواية مجموعة من الشخصيات الثانوية المحللة ، والموضوعة فى أماكنها المناسبة من الرواية .

إن حالة (دانيال) هى من أبسط الحالات الرئيسيـة فى الرواية . فدانيال يشبه روكنتان بطل «الغثيان» ذلك أنه يبدو مضطرباً من انزلاق وجوده . ، مشغولا فى تحويل عـدم وعيه إلى وجود ثابت صلب مثل وجود الشىء . هذا كما يبدو اتجاهها ـ إذا كان تصوير سارتر له تصويراً مناسباً فنحن بدورنا نشاركه فيه ـــ لدى دانيال قائما على أساس أنه اهتمام دائم محسوس به ، ودانيال يختلف مع باقى شخصيات « دروب الحرية » ، ويتفق مع روكنتان فى أنه يرى الحياة على أنها مشروع وحيد قد يتغير مضمونه ولا تتغير صورته . . لا على أنها بحث عن أنواع من الغايات

twitter @baghdad_library

الإنسانية . أنه فى الوقت الذى نجد فيه روكنتان يقوم بتحليل فلسفى غامض ، وسط المادة الخام للكشف الميتافيزيق ، . نجد فيه دانيال يقوم بنفس الكشف إلا أن هذا الكشف ليس كشفاً ميتافيزيقياً ، وإنما أشبه ما يكون ، بالعصاب النفسى .

إن دانيال يشبه روكنتان فى حالة استبداله التعطش الميتافيزيق ، والتحليل الفلسفى محل القلق النفسى ، والرغبة فى التحليل النفسى . وعلى هذا الأساس ، فأن دانيال يعتبر حالة فرويدية أكثر منه حالة ميتافيزيقية .

إن دانيال يريد (أن يكون لوطياً مثل كون شجرة البلوط بلوطاً) ومع هذا ، فهو لا يستطيع ذلك ، كما لا يستطيع أن يعانى تجربة خطيئته الصريحة . وهو يفضل البقاء خارج هذه التجربة ملاحظاً ، وإمكانية محضة ، بل محاولة لتحقيق المعاناة التى تتخذ صورة العقاب الذاتى . . ذلك أن دانيال يأمل فى تحقيق توحداً ذاتياً بين المعذب ، والمعذب داخل نفسه عن طريق هذه الوسائل .

و هذا النوع من الانتحار التدريجى سوف يكون فى نفس الوقت ، وضوحاً ، وإبرازاً للحرية ، لأن الحرية كما يحدث دانيال نفسه ويحدث ماثيو هى فعل ما لا يريده المرء .

إن الحرية هى المواجهة الذاتية للوعى ، المنزلق ، السيال ، حتى فى اللحظة القصيرة . وبناء على هذا ، فان المرء يستطيع إرادة تحوله إلى شىء ما ، فى نفس الوقت الذى يكون فيه المرء . لحظة متوترة من الألم .

twitter @baghdad_library

ولعل هذا هو المفارقه والشكل . ذلك إن دانيال يجد حريته فى نقيض ما يقوم به .

إن محاولات دانيال فى تعذيب ذاته تفشل . فهو لا يستطيع اغراق قطته ، كما أنه يتزوج من مارسيل التى تحتقره ، ومن ثم يجد أن هذا الزواج غير محتمل . لقد اختار دانيال ماثيو لكى يتخذ منه شاهداً لاعترافاته ذلك أن دانيال يبحث عن شاهد يعترف أمامه ، ويتلذذ بالعار الذى ينجم عن عملية الاعتراف . . على أن ماثيو مناسباً ومتساهلا أكثر من اللازم . ثم يجد دانيال أن هناك حلا أفضل من الخبرة الدينية وفجأة اعتقد اعتقاداً ، راسخاً ، أن الله يراه . وهو فى هذا يعثر أخيراً على شاهد تتجسد أمامه خطاياه ، تجسيداً ، حقيقياً ، كما تتصلب تصلب الأشياء ، عندما ينظر اليها الله . ولعل هذا جانب من جوانب بحث مايثو الدائب . ففى الجزء الثالث من « دروب الحرية » نجد مايثو يقابل صديقه فيليب ، الصبى ، المعذب لنفسه دائماً . . والذى صوره سارتر من خلال فكرته عن بودلير . . تلك الدراسة التى استخدم فيها سارتر « التحليل النفسى الوجودى » .

إن هذه الدراسات دراسات قوية دقيقة . ومما لاريب فيه أن سارتر عالم بالشاذ فى نفس الوقت الذى يكون فيه اهتمامه إهتماماً ، غير سوداوياً ، لأن سارتر مثل فرويد ، يجد فى الشاذ صورة مبالغ فيها ، بالنسبة للعادى .

فشخصيات سارتر القائمة ترينا إلى أبعد الحدود ، سواء كان عن طريق التحليل المباشر (داتيال) ، أو عن طريق الرمز (شارل) شيئاً من

twitter @baghdad_library

الترف الذاتى ، التى تعانيه الروح الإنسانية فى مواجهة الحرية . إن سارتر يستخدم كما استخدم من قبله فرويد ، الميثولوجيا ، أو صورة العقل التى عن طريقها يمكن وصف حالة الفرد . لقد ظل سارتر ديكارتياً ، عنيداً ، من حيث هو محلل نفسى . فسارتر يقول فى « نظرية الانفعالات » إن التناقض العميق . بالنسبة للتحليل النفسى يقوم من حيث أنه يقدم دفعة واحدة علاقة السببية ، وعلاقة التضمن بين الظواهر التى يدرسها . كما أن سارتر يقول ، بأن ما يحدث بالنسبة الوعى ، يفسر من الوعى فقط ، لا من اللا وعى . فالشذوذ الشخصى ، يجب أن يفهم حدود اختيار الفرد الخاص ، لنوع معين ، من أنواع امتلاك العالم ، وتمثله . . وكذلك أن يفهم فى حدود رمزيته الخاصة التى اختارها اختياراً ، موفقاً

وعلى هذا فمن الممكن أن يقول شخص ما ، من أتباع فرويد ، بأن مشاعر دانيال بالذنب من جراء نزعته الجنسية المثلية Homosexuality ، هى التى كانت سبباً فى عقابه الذاتى .. فى حين أن سارتر يفسر هذا على أساس مشروع دانيال شبه المتعمد ، وعلى أساس المنهج الحياتى الذى اختاره . أن دانيال يحقق ما تم اختياره ، وهذا التحقيق جزء مميز لعذابه . إن سارتر يقول بأن الفرد هو الحكم الأخير ، ولعل هذا ما يدركه المحلل النفسى العملى إدراكا عميقاً ، بالرغم من أنه يهمل ذلك فى حالة استخلاصه النظريات المعينة من خلال دراسته العملية وسارتر يعارض بناء على ذلك فكرة العقل اللا واعى ، ويستعيض عن هذه الفكرة فكرة الخداع الذاتى النصف واعى ، اللا تأملى ، والذى يطلق عليه سارتر « سوء الطوية » . إن سارتر يستعمل نفس الأدوات

twitter @baghdad_library

فى حالة كونه ميتافيزيقياً ، وأخلاقياً ، ومحللا نفسيا ، فالصورة التى يستعملها فى جميع المجالات صورة العقل ، ذلك أنه ليس هناك تناقض بين التحليل النفسى ، والنزعة الأخلاقية ما دامت الحرية أمراً أساسيا ، وكذلك فلسنا بحاجة إلى الاندهاش ما دامت الميتافيزيقيا تدرس بنية خبرتنا ، وعندما نجد أن تاريخ وضع نفسى ما ، يتجسد ، كجزء من المناقشة الفلسفية .

وهناك مشكلة أخرى ، بالنسبة للمعنى ، تتمثل فى شخصية برونية الشيوعى . فبرونية يوجد نفسه ، بدون اللجوء إلى مشروع شخصى وحيد فى نفس الوقت الذى يبحث فيه دانيال ، بوعى ذاتى ، عن شكل تحقيق واقعى ، ثابت المضمون . فنحن نجد برونيه فى الجزءين الأولين ، العضو الحزبى ، المثالى ، البسيط ، الصارم .. والذى يرى الكون على أساس أنه كمال التحليل الماركسى ، فى نفس الوقت الذى يكون فيه وسيلة الحزب ذات الدور المحدد من قبل التاريخ . إن برونيه لا يفكر فى شىء من هذا القبيل ، أنه يعمل فقط إلى حد لا يتريث معه ليراجع الدوافع التى تدفعه لأن ينضم إلى الحزب « أنا شيوعى لأننى كذلك ، هذا كل ما فى الأمر » إن برونيه يبدو شخصية ، هزيلة فى الجزء الأول من « دروب الحرية » ، بالرغم من حب واحترام سارتر له ، وبالرغم أيضا من أن تطوره الأخير كان تطوراً هاما .

إن أهم الشخصيات فى « الدروب » هو ما ثيو ، وماثيو من أكثر الملاحظين للتحليل النفسى ، بالنسبة للاستبطان الذاتى . إن ماثيو الذى تحكى الرواية من خلاله هو سارتر نفسه . دون شك ، فماثيو يقف بين

twitter @baghdad_library

طبيعة دانيال الملحدة الساقطة ، بقصد ، وبين طبيعة برونية المسطحة ، بل الملتزمة بشكل سطحي ، فى نفس الوقت الذى يحاول فيه كل من دانيال وبرونيه أغواء مائيو الأول عن طريق الفعل المجانى ، والثانى عن طريق الالتزام المحكم . فعندما يقترح دانيال على مائيو الزواج من مارسيل فهذا لا يعنى أنه يسيء إلى صديقه فقط بل يقدم له مشروعا للخلاص من نوعية الفعل ، الذى حاول نفسه أن ينجزه (محاولة إغراق قطته) والذى أنجزه بالفعل بعد ذلك ، عن طريق زواجه من مارسيل .

« إنه شيء عظيم أن يفعل الإنسان ما لا يريد . ذلك أن الانسان فى هذه الحالة يشعر ، وكأنه قد أصبح إنسانا آخراً » .

وأما بالنسبة لبرونيه ، فإنه هو الآخر لديه مشروعا للانضمام إلى الحزب الشيوعى . « لقد رفضت كل شيء لكى تكون حراً . . والآن تقدم إلى الأمام . . أرفض حريتك وعندها سوف يعود إليك كل شيء فقدته » .

وبالرغم من كل هذا ، فإن مائيو لم يستجب لأى من دانيال وبرونيه ، ذلك أن مائيو مشلول بمعقوليته الزائدة . فذهابه إلى أسبانيا وزواجه من مارسيل ، وأنضمامه إلى الحزب الشيوعى . . كلها مشاريع غير معقولة . ولكى يقرر هذا كله ، فعلية أن يغير نخاع عظمه تغييراً شاملا . إن مائيو مجرد فكر فارغ يتأمل ذاته . إن حياته المعقولية المفرطة تصميم ، لابد وأن يفعله : « نتائج أفعالى ، اختلست منى » . إن أفعال مائيو ، أفعالا عفوية مثل أفعال هاملت . فمثلا يغرز السكين

twitter @baghdad_library

فى يده من أجل أن تكون إيفش مسرورة ، ويحاول أن يقول لمارسيل « أحبك » ، فيقول لها « لا أحبك » ، ويقول لبينت إن المقاومة شىء لا يجدى ، ومن ثم يأخذ بندقيته ويطلق الرصاص .

لقد بلغت قصة مائيو فى الجزء الثالث من « دروب الحرية » الذروة فمائيو جندى من جنود جيش فرنسا المهزومة ، التى تنتظر غزو الألمان بعد أن تخلى عنها ضباطها . إن وصف هذه الفترة الغريبة ، يحقق نوعاً من الشعر ، لا نراه فى أى مكان آخر من الرواية .. حيث الإثم والبراءة معاً ، بدون توقع لكل منهما .

إن هناك عمقاً ، ولطفاً ينتظر الجنود وهم يتجولون ، وقد ابتسم كل منهم للآخر . إن مائيو يفكر فى اليأس ، فى نفس الوقت الذى يتعجب فيه ، عندما يحييه بعض الغرباء بحنان . . « هل يجب أن يفقد الناس كل شىء ، حتى الأمل ، بدلا من يستطيع الانسان أن يرى فى عيونهم احتمالية النصر الانسانى ؟ » وفى هذه النقطة تلتحم الصورة التى كونتها القصة ، التحاماً كلياً بالفلسفة . ومن ثم لم تعد تأملات مائيو تبدو على أنها فترات من الراحة .. ذلك أن هناك انفعالا صادقاً يضم أجزاء القصة ، ضما ، محكماً ، بحيث لم يعد لمائيو وعياً ، ذاتياً ، ذا نتيجة انفصالية ، انعزالية فاترة .

إن البطل يحدد وقتاً كافيا بين قرار مائيو اللا منتظر فى الانضمام إلى جمعية المقاومين السرية ، وبين القمة الأخيرة ، وهو فى « برج الجرس » ليسأل نفسه أكثر من سؤال ، عندما كان ينظر إلى أسفل نحو البار

twitter @baghdad_library

حيث كان يوجد أصدقاؤه الجبناء ، وهم مخمورين . هل يجب أن يكون هناك فى الأسافل ولا يكون فى الأعالى ؟ « هل أملك حق التخلى عن أصدقائى ؟ هل أملك حق الموت من أجل لاشىء ؟ » إن لحظة أخيرة ، منيرة واضحة من التجلى ، تنبثق فى ذهنه ، عندما يطلق الرصاص من البرج : « إنه يقترب من السور ، ولقد بدأ فى إطلاق الرصاص واقفاً لقد كان عقاباً عظيما ، ذلك أن كل طلقة أطلقها ثأرت له من وسواس سابق . . لقد أطلق الرصاص على الإنسان .. وعلى الفضيلة ، وعلى العالم نعم إن الحرية ، تعنى الرعب » . ونحن نلاحظ أنه هو الذى يتكلم هنا ، فنحن نجـــد سارتر فى هذا السقوط الرمزى ، واللا مسئول « تحطيم للوحات » يلقى نفسه ، بحماس مساو لحماس بطله .. عندما كان بطله يدفع نفسه إلى هلاك لا معنى ، وعندما يكون ماثيو فى البرج. يكون برونيه فى البار . لقد كان ماثيو فى حالة قائمة من الشك ، كما كان يغامر بدون سبب مبرر . أما بالنسبة لبرونيه ، فإن الشك لم يقض مضاجعه أبداً فى نفس الوقت الذى كان فيه يدرب نفسه على القيام بأعمال مستقبليه. إنه يبدو فى سجن المعسكر ، على أنه صورة ، هزلية ، لحزب استبدادى ويظل ماثيو على هذه الحال حتى وقت لقاءه مع شنيدر . هذا الإنسان الغامض ، الكريم الشكاك ، والذى انتقد اتجاه برونيه العملى نحو إخوانه ، كما انتقد أيضاً اتباعه الأعمى للحزب .

إن الجزء الرابع من «دروب الحرية» ، يبدأ بالكشف عن شخصية شنيدر كعضو مفصول غير موثوق فيه من قبل الحزب ، كما أن شنيدر يبدأ فى السخرية من التبريرات التى يقدمها برونيه ، لسياسة الحزب .

twitter @baghdad_library

ثم يفترقان ، ويحاول برونيه أن يعطل عمله ، ولكنه الآن شاك شاك فى كل شىء . ذلك أنه يبدأ لأول مرة فى اعتناق أفكار لا يؤمن بها ، كما أنه يبدأ فى رؤية الحزب من الخارج . لنفرض أن الاتحاد السوفياتى قد هزم فى حرب ما ! لنفرض أن الحزب خاطىء ! « وإذا كان الحزب خاطئاً صادقاً فأنا أكثر وحدة من المجنون ، وإذا كان خاطئاً فكل الناس هم المتوحدون ، كما أن العالم قد اكتمل » . إن برونيه يحاول أخيراً الهرب مع شنيدر ، ولكن أمرهما يكتشف ، ويموت شنيدر رمياً بالرصاص .

يقول برونيه « ليس هناك نصر إنسانى ، يستطيع إزالة هذه الذروة العالية من المعاناة . لقد قتله الحزب ، ولكن حتى لو انتصر الاتحاد السوفياتى ، فالناس أحرار متوحدون » .

إن « دروب الحرية » رواية تبدأ باستخدام متبادل بين الرمزية المحكمة ، والتحليل الظاهر . كما أن « الدروب » تبدأ بمقابلة ماثيو لشحاذ سكران ، يريد الذهاب إلى أسبانيا ، لكنه لن يذهب إليها مطلقاً . إن ماثيو يذكر هذا الشحاذ فى نهاية الفصل الأول .

وماثيو يريد الذهاب إلى أسبانيا أيضاً ، كما يريد الانضمام للحزب الشيوعى ، فى نفس الوقت الذى يريد فيه الزواج من مارسيل . إن نوع الفعل الذى يستطيع ماثيو القيام به يتمثل فى طعن يديه بالسكين ، ذلك الفعل الذى يتذكره أخيراً عندما كان فى البرج .

إن موت تيبو حين قفز من عربة القطار (وهو شخص قتل من

twitter @baghdad_library

قبل الحزب) . . هذا الموت يصور موت شنيدر أيضاً ، كما أن هذه التجربة تعطى برونيه المذاق الأول لما لا يمكن استرجاعه . وعلى أية حال ، فالتحليل هنا مهم جداً .

إن ما قاله سارتر لنا مكوم فى فصول طويلة من التأمل الاستبطان، فالشخصيات (وخاصة دانيال وماثيو) تصبح ذات شفافية ، بالنسبة لنا، كما أن تأملاتها الفاترة تسترعى اهتمامنا وتصدم إحساسنا . إننا نشبه مارسيل حين ننتحى ركناً هادئاً ، نتزوى فيه . إن معظم الرواية منظم من قبل ، فى وعى الشخصيات الأساسية ، بحيث أننا نبدأ فى إدراك ما نتوقعه من كل شخصية . وتأملات هذه الشخصيات تدفعهم إلى الشكل العارى للمشكلة التى يجدونها ، بدلا من أن تعمق إحساسنا ، بتعقدهم وتشخصهم .

إن نقطة استبصار المحلل لا توجد فى علاقات الشخصيات . . كما أن هذه العلاقات تختفى فى حالة كون المحلل ضائعاً ، بشكل كامل . إن مايثو يبدو مرتبكا ، بشكل كلى ، فى علاقاته مع مارسيل ، وفى علاقته مع افش بشكل خاص . و « الآخر » يظهر فى « دروب الحرية » حالة نفسية ، أو سراً مغلقاً من خلال تحليلات وعينا للآخرين . . تلك التحليلات التى قدمها سارتر فى كتابه ، الوجود والعدم ». ذلك أن بوريس وإفش يمثلان قيمة يشعر نحوها الأبطال (وكذلك كاتبهم) بالتردد ، والحيرة . . أن كل بوريس وافش لا يستطيعان الإلتزام بهذه القيمة أو اكتشافها .

twitter @baghdad_library

إن افش عبارة عن عتاب حي ، وجهته افش لماثيو ، الذى لم يستطع أن يفهمها . ذلك أن قيمة السر هى القيمة التى تمثلها افش . . أنها قيمة الداخلى ، والفورى ، والعبث ، بحيث أن ماثيو يشعر بالارتباك والحيرة أمام إفش . إن الآخر يتحول إلى لغز يثير الإزعاج ، فى حالة عدم وجود أى اتصال حقيقى بين الأشخاص . إن عزلة ماثيو تلك الدراما المقبولة فى علاقته مع افش ، تبدو وكأنها حالة عرضية ، أو أمر لا أهمية له للكاتب ، فى حين أن الكاتب يهتم إهتماماً شديداً ، بعلاقة ماثيو مع مارسيل . إن ماثيو مرئى على أنه بين دوامة الأحداث وبين ومضات حريته . تلك الحرية التى يصورها وكأنها مركب من الخير والشر ، والتى أجبرت ماثيو على التخلى عن مارسيل ، بطريقة بسيطة . وسارتر لم يهتم برؤية العلاقة بين ماثيو وعشيقته ، ذلك أن سارتر يركز اهتمامه لاعلى محنة مارسيل بل على مشكلة مصورة ، بشكل مجرد ، حيث تكون محنة مارسيل موافقة لهذه المشكلة .

وسارتر لايهتم كثيراً بتعقيد عالم العلاقات الإنسانية العادية ، الذى هو عالم الفضائل الأخلاقية العادية . إن أورست يلاحظ فى « الذباب » أن « الحياة الإنسانية تبدأ فى الجانب الآخر من اليأس » كذلك فان الإنسانية تبدأ بالتجربة العادية لتأمل الحر ، وعندها يكون سائر ماهو موجود إيمانا زائفا .

إن الفضيلة الأساسية هى الإخلاص . إننا فى « دروب الحرية » نشعر باستمرار الانتقال العنيف من العمى الكلى ، إلى الحرية الكلية الكاملة ، وكذلك من صمت اللاعقل إلى ضجة التأمل الفارغ المضطرب . إن الحياة

twitter @baghdad_library

الإنسانية تبدأ ، فى حين أن تعقيد الفضائل لم نشاهده فى «دروب الحرية» حيث أن تعقيد الفضائل الأخلاقية لابد وأن يعود بصورة أكثر عمقا من حيث فهمه فهما ، عقليا .

وسارتر يقود أبطاله إلى نقطة الإستبصار ، والتحقيق ، واليأس .. وعند هذه النقطة يتركهم . وقد ينقلب هؤلاء الأبطال إلى الوراء ، لكنهم لايعرفون الطريق إلى الأمام هناك إشارة واحدة فقط تدل على ارتباط عميق . . هذا الإرتباط الذى يحمل صورة انفعال صادق ، فى المجال الشخصى .. وهو تلك العلاقة بين برونيه، وشنيدر . إن تلبك برونيه ، وحيرته أمران يشعر بهما المرء ، والمؤلف فى نفس الوقت .

إن النموذج الذى يبرز من « دروب الحرية » هو نفسه النموذج الذى يبرز من «الغثيان» كلما أمعنا النظر فى «دروب الحرية». أن سائر الاتصال الإنسانى ، وضع غير نقى كما أنه غامض ، تحلله حالة تأملية دون أن تنقيه ، أو توضحه . فالتفكير المضطرب الفارغ يحل محل الإنغماس فى شىء ما ، ليس لة معنى . لقد سلم سارتر بانعـــدام المعنى فى العلاقات الإنسانية .. أكثر من كونه عرض هذا الإنعدام . إن الحيرة الناتجة عن سوء التفاهم بين شخصيات القصة ، غير موجودة . فعلاقة الشخصيات بعضها ببعض علاقة سطحية ، غير معمقة، ذلك أن هذه الشخصيات ستبقى غير قابلة للفهم ، فى حالة عدم تحليلها . لقد شعرنا بالخوف تجاه كل شىء ليس له معنى. لكن هذا الخوف اتخذ صورة مختلفة . فقد لازم الخوف تنبه البطل للأشياء المكدسة ، والتى تزداد بشكل غير مقبـول . . أما صورة الخوف فى « دروب الحرية » ، فقد ظهر كفزع من الجسد . ذلك

twitter @baghdad_library

أن الجسد يرمز إلى انعدام المطلق للحرية ، كما أن الدلالات على ترهل الجسد ، ولزوجته وثقله إنما هى دلالات نجدها فى الرواية بشكل واضح إن حزن ماثيو يتمثل لنا على أساس أنه مشاركة ، وتفاعل روحى ، مع مارسيل ولكنه خوف كبير من كونها حاملا .

ما الذى يمكن أن يهزم اللا معنى إذن ؟ ولكى نفهم هذا يجب أن ننظر إلى مغامرات ماثيو فى الجزء الثالث من « دروب الحرية » .

فالحدث أولا يوجد مع إمكانية النقاوة والنصر الإنسانى الذى يأتى بالفقدان الكامل للأمل . وعلى هذا ، فإن الإحساس بالتأثر ، بالنسبة لماثيو إحساساً نوستالجياً غامضا ، ليس له مغزى واضح . وهنا يبرز السؤال الآتى . هل أملك الحق فى أن أموت من أجل لا شىء ؟ ولعل هذا السؤال هو ما يوجهه الشهيد الوجودى لنفسه .

لقد سأل كيركجارد نفسه ذات مرة فى إمكانية موت الإنسان من أجل الدين .. على أن الخلفية لهذا السؤال خلفية حقيقية ، دينية متعالية . أما بالنسبة لسؤال ماثيو فلا خلفية له . إن هـذا السؤال يعبر ببساطة عن إحساسه بعبث فعله ، ورفضه لأن يعتبره «على أنه شىء أفضل» من المطالبة بالسلام فى البار . إن ماثيو قد حصل على الحدث النوستالجى عن طريق النقاء ، أو الاتصال الإنسانى اللذين لم يجدهما مطلقا فى الممارسة الواقعية . على أن فعله النهائى قد تم بشدة بالغة ، ولعل فعل ماثيو ببساطة ، كمال الفعل الذى لا يستسيغ التأمل . « الحرية هى الرعب » ، هـذا هو الرفض النهائى ، وهذا هو العدم المطلق للنفس ، كما أن هذا يمثل الإجابة الرومانسية المألوفة ، بالنسبة لهذه المشكلة .

twitter @baghdad_library

من الواضح أن سارتر يستسيغ هذه الإجابة ، ذلك أن حماس مائيو أثناء موته ، حماس شخصي بالضرورة . على أنه ليس حماسا ، كما أن سارتر يعتبر مسؤولا عنه ، وقلقاً على الإيمان به . إن موت شنيدر يعطينا صورة كاملة لهذا الموقف . ليس هناك نصر إنساني يستطيع القضاء على هذه الذروة العليا من المعاناة . وهنا كما نلاحظ يوجد الاحساس بالفردوس المفقود، فردوس الأخوة الإنسانيـــة ، والشعور بالعزلة الشديدة .. على أن هناك شيء أقره سارتر وهو أن الحب الإنساني قيمة مطلقة ، وانعدام هذا الحب ضياع مطلق . إن سارتر يبدو ، وكأنه أخلاقي من النموذج المسيحي ، وذلك على العكس من الماركسيين . فالموجهان الديني ، والفلسفي (بسكال ، وديكارت) قد التقيا — على حد تعبيره — في أن نقطة كون الوعي الفردي وعي مطلق .

إن اهتمام سارتر مركز على إدراك الفرد ، ووعيه، لا على تكامل الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه ، ذلك أن الإدراك العقلي بالنسبة لسارتر يتناسب تناسبا عكسيا مع التكامل الاجتماعي . إن تفكير شخصية مايعني الانفصال عن أرضية هذه الشخصية ، ما عدا شخصية جاك دولارو الذي لا يتأمل والذي اتهم ضمنيا بالبرجوازية . ذلك أن جاك دولارو هو الشخصية التي صورها سارتر على أنها شخصية إجتماعية . لا توجد بنية إجتماعية .. من شأنها أن تكون بريئة كما من شأنها أن تزيد الوعي، في نفس الوقت الذي لا تقلق فيه هذه البنية ، أو تتشوش . لا يوجد أي استقرار في العلاقات على المستوى الشخصي . إن الفيلسوف المسيحي جبريل مارسيل يفكر في لزوجة الاتصال الإنساني ، كما يفكر في حقيقة

twitter @baghdad_library

هذا الاتصال وسط العقبات ، ومظاهر الضلال ، وهنا يظهر سارتر على العكس .. مفكراً غير مسيحي . ذلك أن الفرد بالنسبة لسارتر يعتبر المركز ، على أنه فى نفس الوقت مركز ذاتى فردانى . إن لسارتر حلما يصور الأخوة الإنسانية ، ولكنه لا يملك خبرة الأخوة الإنسانية مطلقا . إن سارتر يلمس الآخرين ، بأطراف أصابعه . وأفضل ما يستطيع الحصول عليه هو حدس الفردس... الصداقة الغريبة Un drôle d'amitié .

* * *

twitter @baghdad_library

twitter @baghdad_library

الفهرس

صفحة

المقدمة ٥

اكتشاف الأشياء ١٠

قصور اللغة ٢٦

الاستبطان والعاطفة الناقصة ٤٨

القيمة والرغبة فى الألوهية ٦٠

النظرية الميتافيزيقية والممارسة السياسية ٦٧

رومانسية العقلانية ٧٩

تصوير الوعى ٩١

إستحالة التجسيد ١٠٦

مشكلة اللغة ١٢٢

أزمة الحرية ١٣٦

twitter @baghdad_library

twitter @baghdad_library

للمترجم

(١) تشيكوف والقصة القصيرة
دار المفكر ــ القاهرة ــ ١٩٦٣

تحت الطبع :

(٢) دراسات فى المسرح الفرنسى المعاصر (سارتر ، كامى ، بيكيت أونيسكو ، أنوى ، سالاكروا) ترجمة عن : جاك جويشارنود وجين بيكلمان ــ دار المفكر بالقاهرة

(٣) فدوى طوقان والشعر الأردنى المعاصر
الدار القومية ــ القاهرة

(٤) النظرية الوجودية فى الوعى ــ ترجمة عن : جان بول سارتر ــ دار المفكر بالقاهرة ــ

(٥) المثاليات السياسية ــ ترجمة عن : برتراند رسل

يصدر قريباً :

(٦) المسرح السارترى ..

(٧) من مسرح يوجين أونيسكو .. ترجمة مسرحيات أونيسكو . . (أميدية ، جاك ، المستقبل فى البيض ، القاتل ، القائد) . .
تصدر فى جزئين

twitter @baghdad_library

twitter @baghdad_library

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	٢	كما « الغثيان »	كما أن « الغثيان »
٤٥	٦	نشاط	نشاطاً
٥٠	٧	دليـــل	دليـــلا
٦٣	١٠	التمثال	تمثـــال
٩٧	١٦	للخطة	للحظة
١١٠	١٥	لا أساس	لاعلى أساس

مكتبة بغداد
twitter@baghdad_library

"إن تفهم شيئاً عن سارتر. معناه أن تفهم شيئاً هاماً عن العصر الحاضر. فسارتر فيلسوف عميق وروائي كبير كما أنه كاتب سياسي معاصر إنه أسلوب وروح العصر.. وايريس موردخ في هذا الكتاب تتحدث عن سارتر الفيلسوف وسارتر المفكر... وسارتر الروائي.. وموردخ تتحدث عن هذه المظاهر الثلاثة بعمق وعي الفيلسوف.. ذلك أن موردخ تعتبر من أعلام المفكرين المعاصرين في أوروبا بالإضافة إلى أنها روائية كبيرة..

لقد قالت "الكومون ويل" "إن هذا الكتاب يعتبر من أكثر الكتب عن سارتر موضوعية. كما تعتبر للمرة نقدية فريدة في نقدنا المعاصر" وقالت "الباريزان ريفيو" إن موردخ في واسط الذكية هذه قد استطاعت أن تضع يدها على فلسفة سارتر وعلى فلسفة السياسية بالذات

الناشر
دار المفكر